تمهيـــــد

إن وثيقة مواضيع البحث ، التي نحن بصددها، هي الوثيقة الإعدادية الثانية التي تصدر عن الأمانة العامة لمجلس بطاركة الشرق الكاثوليك والتي أعدتها اللجنة التحضيرية للمؤتمر الأول لبطاركة وأساقفة الشرق الكاثوليك.

تعرض هذه الوثيقة المواضيع التي ينبغي معالجتها في هذا المؤتمر، وهي خلاصة الأجوبة عن الطروحات التي وردت في وثيقة المحاور الأساسية.

في الأول من شهر أيار (مايو) ١٩٩٨، بينما كان مجمع الأساقفة في روما يعقد سينودسا خاصا من أجل القارة الآسيوية، وزعت الأمانة العامة لمجلس بطاركة الشرق الكاثوليك وثيقة المحاور الأساسية على جميع أبرشيات الكنائس الكاثوليكية الشرقية والمؤسسات الرهبانية الشرقية وتلك التي تعمل في الشرق، وعلى باقي الكنائس الشقيقة وعدد من الدوائر الرومانية، وذلك تحضيرا للمؤتمر المزمع عقده في أيار (مايو) ١٩٩٩. وبعد شهر تقريبا، أعادت الأمانة العامة طباعتها مرة جديدة، وطبع مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك في العراق طبعة أخرى. وانكب الأكليروس والعلمانيون في العديد من الأبرشيات والرعايا في جميع بلدان الشرق الأوسط على درس فقراتها. فأدرجت على جداول السينودسات البطريركية في الكنائس السبع، وكانت موضوع رياضات روحية للعديد من الجمعيات الرهبانية، ومناهج دروس لمراكز التثقيف الديني، وعناوين لندوات روحية وفكرية في الأوساط الجامعية والمؤسسات الدينية والحركات الرسولية.

وتلقت الأمانة العامة بعد ستة أشهر ما يقارب ثمانين جوابا فرديا وجماعيا، وتناولت مجمل الأسئلة المطروحة، ووردت من الكنائس الكاثوليكية الشرقية السبع

في لبنان وسوريا ومصر والأردن وفلسطين والعراق وإيران وشمالي أفريقيا، ومن بعض الدوائر الرومانية. إن هذا الإقبال على درس الوثيقة الأولى يؤكد مرة أخرى ضرورات أربعًا ملحة من أجلها قرر مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك عقد هذا المؤتمر على عتبة الألف الثالث وفي مناسبة ذكرى الألفين لتجسد ربنا وإلهنا يسوع المسيح، كلمة الله الأزلي:

١. ضرورة اللقاء للتعارف بين اخوة يحملون رسالة واحدة ويشهدون لرب واحد، عملاً بما يؤكد أصحاب الغبطة في رسالتهم الراعوية الثانية، أي أن نكون معًا أو أن لا نكون،

٢. ضرورة الوقوف معًا على ماضينا المجيد والأليم في آنٍ واحد، لنأخذ العبر ونصحح المسار،

٣. ضرورة النظر معًا إلى حاضر كنائسنا، لتحديد القضايا العامة التي تهم الكنيسة في الشرق الأوسط وتحديد القضايا المشتركة بين الكنائس الرسولية الشرقية ووضع مبادئ وخطوط عمل لها،

٤. ضرورة التطلع معًا إلى المستقبل بهدف رؤية مشتركة توجه كنائسنا في الألف الثالث ووضع آلية تنفيذ لها.

عقدت اللجنة التحضيرية اجتماعين: الأول في ١٩٩٨/١٢/٢ مع مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك، والثاني في ١٩٩٩/١/٢٦ مع أمناء سر البطاركة، نتج عنهما تأليف لجنة مصغرة لتحليل الأجوبة وصياغة النص. اجتمعت لجنة الصياغة أسبوعيًا وبصورة منتظمة خلال شهري كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٨ وكانون الثاني (يناير) ١٩٩٩ لوضع النص الأخير وقد اعتمدت في نهجها: أولاً، التركيز الأساسي على الأمور المشتركة بين الكنائس كافة. وثانيًا، الأمانة المطلقة للأجوبة.

وثالثًا، الحرص على ذكر جميع ما ورد فيها من اقتراحات.

تقسم هذه الوثيقة إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة. وتسلط الضوء في فصولها على ماضي الكنائس الكاثوليكية الشرقية، وتستخلص العبر من حاضرها، وتعرض مخططا لمستقبلها، وذلك عبر محاور ثلاثة هي: دعوة كنائسنا الواحدة عبر التاريخ، وشهادة كنائسنا المشتركة في الحاضر، وتطلعات كنائسنا وعملها في المستقبل.

يشكل كتاب مواضيع البحث جدول أعمال المؤتمر. فعلى المواضيع الواردة فيه تستند مداخلات المتكلمين خلال الجلسات العمومية في المؤتمر. فلذلك، وتسهيلاً لتحديد المراجع وللاستناد إلى الفقرات عمدت اللجنة إلى ترقيمها ترقيمًا عدديًا.

إن هذا الكتاب، بما تضمن من طروحات وحلول، ليس سوى وثيقة تحضيرية لا يشكل في أي حال من الأحوال، حلولا مسبقة لما قد يتطرق إليه المؤتمر من معضلات ومشاكل. لذلك، نرجو من جميع أعضاء المؤتمر والمدعوين كافة الاهتمام بقراءة فصوله وتحضير المداخلات من خلال المواضيع المطروحة فيه. وإنه من الأجدى والأفضل التنسيق بين أساقفة الكنيسة الواحدة أو البلد الواحد لاختيار المداخلات وتوزيعها في ما بينهم لمزيد من الشمولية والفائدة.

وعلى أمل أن يجتمع رسل الابن المتجسد في ذكرى ميلاده، في العلية الجديدة، بنعمة الآب، وبهدي الروح، نطلب من الثالوث الأقدس ان يبارك مؤتمرنا ليكون عنصرة جديدة تجدد وجه كنائسنا ووجه الأرض.

الأب خليل علوان، م.ل.

الأمين العام

مقدّمة

التوق إلى الوحدة

١. يتوق مسيحيو عصرنا إلى الوحدة بين كنائسهم وجماعاتهم كما لم يحصل أبدًا في العصور الغابرة. فبعدما تفاقم التباعد وسوء التفاهم واشتدت الخلافات وتعاظمت الانشقاقات في ما بينهم في القرون الماضية، وبنوع خاص، في الألف الثاني بعد الميلاد، يشاهدهم عالم اليوم يجتمعون من كل الأطراف ليصلّوا معًا كي ينعم الله الآب عليهم بالاتحاد الكامل كما يريده هو وبالسبل التي يريد . يلتئمون عالميًا ومحليًا للبحث في الأمور العقائدية والتدبيرية العالقة على طريق وحدتهم في المسيح يسوع. انهم يختبرون قوة الروح القدس الذي يهبّ فيهم ويدفعهم إلى العمل متحدين لتحقيق طلب ربهم وإلههم ليلة إقباله على الموت من أجلهم:

ليكونوا بأجمعهم واحدًا،
كما أنك في، يا أبت، وأنا فيك
فليكونوا هم أيضا فينا
ليؤمن العالم بأنك أرسلتني (يو ١٧/٢١).

يسألونه أن يكفروا في الألف الثالث عن خطاياهم الماضية، فيكون الناس فيه الشهود العيان لعودتهم إلى وحدة تامة بالإيمان والرجاء والمحبة، كما كانت الحال على أيام الرسل الأولين.

ومما لا شك فيه إن هذه العودة، إذا ما تمت كاملة، سوف تشكل اعظم المعجزات على الإطلاق. فباستطاعة مسحاء دجالين وأنبياء كذابين أن يأتوا بآيات

عظيمة وأعاجيب، حتى انهم يضلون المختارين أنفسهم لو أمكن الأمر (متى ٢٤/٢٤). أما المحبة فهي خارجة كليًا عن نطاقهم لا بل تعاكسهم. فالله وحده محبة وحيث المحبة فهناك الله دون سواه، يجذب إليه كل أحد ويوحّد في ما بين جميع الخلائق. وما الكنيسة سوى الأداة والعلامة لإتحاد البشر بالله وبالتالي في ما بينهم[١]. ولا يتجلّى ذلك في هذه الدنيا، إلا من خلال وحدة مسيحية منظورة. والسعي من أجل وحدة الكنائس، هو إذن، الأمر الحياتي الأساسي لها. فيه تتحقق ماهيتها وتقوم رسالتها فيعرف العالم أن المسيح قد أرسل حقًا من لدن الله.

والوحدة المنشودَة هذه لا تعني أبدًا التماثل الذي يمحو كل ميزة بين الأفراد والجماعات فيقتل حيوية الفرد ويلغي جمال التنوع والتكامل، فضلاً عن أنه يشكل خطرًا لا يضاهيه جسامة سوى التفكك والعداوة. فالوحدة التي تسعى إليها الكنائس تنبع من وحدة الله بالذات. والله لم يره أحد, الابن الوحيد الذي هو في لدنه اخبرنا عنه (يو ١/١٨)، فعرفنا أن الوحدة في الله تتخطى الفردية وأنه على السواء واحد في جوهره وثلاثة في أقانيمه، ومن أنكر كمال وحدته في الجوهر جحد، ومن أهمل الاعتراف بتعدد أقانيمه جهله. فالمسيحي يقدس الوحدانية والتعددية على السواء.

التعاون من أجل الشهادة

٢. ويندرج المؤتمر الأول لبطاركة وأساقفة كنائس الشرق الأوسط الكاثوليك في هذا الإطار وفي أفقه. انهم يصبون، من خلال انعقاده، إلى التعاون الكلي في ما بينهم ومع كل الكنائس، وبنوع خاص مع الشرقية منها، ومع كل المؤمنين بالمسيح الموجودين في المنطقة كي يؤدوا معا الشهادة المعهود بها إليهم من قبل الرب. تجمع

---

١ .

بين كل المسيحيين أخوة فريدة لأنهم يؤمنون بمجملهم بما جاء في قانون الإيمان النيقاوي – القسطنطيني. وفي شرقنا هذا، يزداد أكثر فأكثر وعيهم عظمة أخوتهم هذه العريقة. ويتخذ هذا الإدراك لدى الأتقياء من بينهم طابعا عاطفيا لما يكتشفون في تاريخهم من أمجاد ومعاناة مشتركة. زد على ذلك آلامهم العميقة لتضاؤل أعدادهم لأسباب شتى، أذلها انقساماتهم الطويلة على حساب حياتهم الروحية ورسالتهم الواحدة. تطلعاتهم المشتركة تختصر بهذا، ان يشهدوا معا للمسيح أمام إخوتهم أبناء هذا الشرق الأوسط العزيز على قلوبهم. يناضلون مع هؤلاء من أجل المحافظة على كرامة بلدانهم والمساهمة في بناء مجتمع إنساني راق وأمين لقيم تاريخه. أرسلهم ربهم الإله المتجسد إلى هذه البيئة التي ولد وترعرع فيها وحيث كشف عن سر أبيه السرمدي بلغتها. إليها أرسل روحه القدوس كي ينطلق تلاميذه كنيسة واحدة تبشر المسكونة بأسرها أن الحياة الإلهية أتت إلى أبناء البشر وتفيض فيهم.

وإطلالة الألف الثالث لمولده تشكل خير مناسبة ليجتمعوا ويتذكروا معا معلمهم ويستغفروه وينظروا في السبل التي من شأنها أن توطد عرى الإيمان والمحبة والثقافة والتاريخ التي تربطهم به وفي ما بينهم. إن ابن الله الوحيد المتجسد، وإن فاق في شخصه الحدود الإنسانية والجغرافية كلها لأنه يجمع في ذاته كل ما في السماء وعلى الأرض من مخلوقات، هو ابن شرقنا ورجل من تاريخنا.

وثيقة مواضيع البحث

٣. ويعبر بطاركة الشرق، بدعوتهم أساقفة كنائسهم إلى الالتئام، عن شعورهم بأن الوقت قد حان ليطلقوا مسيرة جماعاتهم في هذا الاتجاه، وقد لاقى نداؤهم هذا صدى إيجابيا لافتا لدى الكثيرين. ويشهد على ذلك العدد الوافر من الأجوبة التي وصلت إلى أمانة سر مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك عن الأسئلة

الواردة في المسودة الأولى التي وضعتها لجنة شكلت لهذه الغاية. وقد سميت هـــــذه الوثيقة مواضيع البحث كونها تحتوي على سلسلة مواضيع اعتبرهـــا واضعوهـــا مهمة وشاملة، ومن شأنها أن تكون القاعدة المناسبة لإثارة تفكير جماعي حولهـــا. وحصيلة ما ورد في الأجوبة عن أسئلة المحاور الأساسية ، بدلت أشياء كثـــيرة في الموضوعات التي سوف يعالجها، في فصول ثلاثة، بطاركـــة الشـــرق الكـــاثوليك وأساقفته في مؤتمرهم الأول.

مضمون الفصل الأول

٤. يحتوي الفصل الأول موجزا إيحائيا للرؤية اللاهوتية التي على ضوئها يجـــب أن ينظر إلى سائر القضايا كي تأتي الحلول والقـــرارات منســـجمة مـــع الإيمـــان الكاثوليكي الصافي. وتتمحور هذه الرؤية حول ماهية الكنيسة ورسالتها انطلاقـــا من واقعها وتاريخها في المنطقة. والكنيسة الكاثوليكية هي في أصلها، رســـولية ولا تزال. كما أن من مميزاتها البارزة كونها واحدة ومتنوعة في آن كما الله هـــــو إلـــه واحد بثلاثة أقانيم وكما المسيح في وحدة شخصه هو ذو طبيعتين. والكنيسة هـــي واحدة فيه، وبروحه القدوس الآخذ منه والحال فيها، إنها جسده السري: هو الرأس والمؤمنون الأعضاء. ومن خلال اتحادهم التام بها يبلغ كل منهم كماله. والمؤمنـــون، أفرادا وكنائس، مدعوون إلى تجسيد شراكتهم هذه بتعاونهم وتعاضدهم، صادقين في ما بينهم. وما تجدد الكنيسة المنشود باستمرار، وخصوصا بمناســـبة اســـتحقاق يوبيل العام الألفين، سوى العودة التقوية والفكرية والعملية إلى هذه الحقيقة.

مضمون الفصل الثاني

٥. وتدور مواضيع الفصل الثاني حول مقومات شهادة مشتركة بين كنائســـنا

الكاثوليكية وأسس التخطيط من اجل تحقيقها عمليا. يستهل الشرح بالتشديد على أن الكنيسة هي شعب الله بكامله، إكليروسا وعلمانيين على السواء، وأن هــؤلاء جميعا مسؤولون معا، بتكامل أدوارهم المختلفة، عن الرسالة التي أوكلــها الســيد الرب إلى رسله وإلى كل من يؤمن به من بعدهم. ثم يأتي الكلام على المصادر الــتي، بحسب ما جاء في معظم الأجوبة عن أسئلة المحاور الأساسية ، ينهل منها مسـيحيو شرقنا عادة غذاءهم الروحي. وهذه المصادر هي: الكتاب المقدس، كلمة الحيــاة ، و الليتورجيا و صوت الضمير . ويبسط لنا النص ما نقله الناس عما يعيشــونه في رعاياهم وما يقترحونه لتحسين الوضع وتنشيط المبادرات في هذه المصادر الثلاثــة. وفي سياق الكلام، تطل علينا تلميحات سريعة إلى أبعــاد لاهوتيــة لا تبغــي إلا المساعدة على التفكير في الأمور المطروحة ضمن إطارها الإنجيلي، وفقــا لأصــول المنهجية المطلوبة لمثل هذا المؤلف.

وتتوقف الفقرات الثلاث التابعة من هذا الفصل على إمكانية التنسيق بــين كنائسنا الكاثوليكية في الشرق من أجل شهادة مشتركة وما يفترض ذلــك مــن تطلعات إيمانية وما يتطلبه من وسائل. والمبادئ الأساسية التي على ضوئها يــدرس الموضوع هي:

أولا: أن الكنيسة ، هي في جوهرها، سر شركة أبناء البشر مـع الله وفي ما بينهم،

ثانيا: أن الأسقف يحمل، ليس فقط هم أبرشيته، بل أيضــا، مــع ســائر الأساقفة ومع الأول بينهم أسقف كنيسة رومــا، هــم الكنــائس جميعها،

ثالثا: أن الاتحاد بين الكنائس لا يعني إلغاء هوية كل كنيسة بطريركية بــل احترامها ودعم نموها كي تؤدي مساهمتها كاملة في بناء ملكــوت

الله.

والمؤسسة الرئيسية لوضع خطة للعمل المشترك على مستوى الشرق الأوسط، موجودة ولا تحتاج إلا إلى تفعيل أجهزتها الاستشارية والتنفيذية وتطويرها. وهذه المؤسسة هي مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك ، وأداة التنفيذ فيها هي، علاوة على أمانة سر المجلس نفسه، سينودسات كل كنيسة بطريركية ومجالسها. والتمني عارم أن يشمل التنسيق المناطق والميادين جميعها، وكل الأبرشيات والرعايا، وكل الأشخاص، من علمانيين ورعاة.

والعمل معا مع احترام خصوصيات كل كنيسة ليس بالأمر البديهي. إنه يتطلب تنشئة مناسبة لكل من يتعاطاها. لذلك كرست فقرة لطرح بعض الأفكار في هذا المجال على صعيد مجلس الرؤساء الكنسيين في كل بلد، وعلى صعيد أمانته العامة والرعاة والأعوان الرعائيين التابعين له.

وفي إطار التخطيط نفسه من أجل العمل بين الكنائس الكاثوليكية، ينتقل النص إلى معنى المشاركة مع كل الكنيسة الكاثوليكية في العالم بشخص أسقف روما والتعاون مع الدوائر الرومانية بغية شد أواصر المحبة بين الجميع على أساس المفهوم اللاهوتي الصحيح لماهية الكنائس البطريركية الشرقية. وربما يساعد ذلك على تقارب أقوى بين كل المسيحيين. وفي التوجه نفسه، طرحت تساؤلات حول علاقة الأساقفة الشرقيين في بلدان الانتشار وبطريركياتهم الأصلية.

مضمون الفصل الثالث

٦. يواصل الفصل الثالث البحث حول الالتزام والخدمة المشتركة بين الجسم الكاثوليكي مع الكنائس والجماعات المسيحية الأخرى وسائر المواطنين. يبدأ التفكير بالالتزام المسكوني الذي يعتبره تلاميذ المسيح من أولويات

مسؤولياتهم. وقد تبين لكثيرين من الذين أجابوا عن الأسـئلة أن التقـارب بـين مسيحيي شرقنا بتزايد متواصل. ويبدو أن هناك العديد مـن المسـيحيين، كبـارا وصغارا، على استعداد، أكثر مما كانوا عليه في الماضي، للتجاوب مع أجهزة تنمـي فيهم الحس المسكوني الصحيح بالرغم من أن الضمائر لا تزال بحاجـة ماسـة إلى التنقية من رواسب العقلية الطائفية المتأصلة في قلوب العديد من المؤمنين. وهنـالك بعض الاقتراحات العملية بهذا الشأن.

ثم ينتقل البحث إلى الخلية الأساسية في المجتمع تلك التي فيها ينشأ الإنسـان على المحبة الشاملة: الأسرة التي لا تبرح في مجتمعنا الشرقي تحمي شـبابنا مـن الانزلاق إلى مجازفات خطيرة. ومع تذكيرنا بعظمة الأسرة المسيحية كونها صـورة حية للعائلة الإلهية ولمحبة المسيح لكنيسته، يطلعنا النص على حالها في بيئاتنـا مـع خلاصة للاقتراحات المعروضة بشأن مسؤولية الأهل في تربية أولادهـم، وبنـوع خاص دور المرأة فيها. وقد آثر الذين جمعوا هذه المواضيع ألا يفصلـوا قضيـتي المرأة و الشبيبة عن الأسرة فوضعوهما في الخانة التابعة لها. ولا يبتغون بذلـك حصر حقوق النساء ومكانتهن في عملهن في المترل، أو التضييق علـى تطلعـات الشباب وآمالهم، بل لتبيان أهمية التربية العائلية في تهيئة الفتيات والشـبان لخـوض معترك الحياة والقيام برسالتهم الإنسانية والاجتماعية خير قيام.

ثم يأتي الكلام عن الشركة في المواطنية انطلاقا من روحانيـة التجسـد: فكما صار الكلمة الإلهي إنسانا وشارك أبناء البشر في كل شيء ما عدا الخطيئة، كذلك يعتبر المسيحيون أنفسهم معنيين بكل شؤون بلدهم ومنطقتـهم ويتمنـون القيام بواجباتهم تجاههما على قدم المساواة مع المواطنـين. إنهـم يشـتكون مـن مضايقات، شديدة أحيانا، يعانونها من قبل بعض الجماعات لدى مطالبتهم بهـذه الشركة .

وينتهي التفكير بعرض الواجبات المشتركة بين جميع المسيحيين. إنهم يحملون رسالة السلام الحقيقي إلى العالم. فعليهم أن يناضلوا جاهدين مع ذوي النية الصالحة من أجل استتبابه عادلا ومبنيا على احترام حقوق الأفراد والشعوب . ومن الوسائل التي من شأنها أن، تفعل هذا النضال، نشر تعليم الكنيسة الاجتماعي بالقول والمثل الحي بدءا من مؤسساتنا ووضع خطة مشتركة من أجل استثمار إمكانات الكنيسة المادية والمعنوية بطريقة علمية، شفافة، ترتكز على جدارة المسؤولين عنها وتشهد لتضامننا في خدمة أبناء الكنيسة والمجتمع بأسره. والكلام عن السلام، إن لم يتضمن قضية القدس ، يبقى بعيدا عن مبتغاه. ومن المؤسف أن تكون القدس وبيت لحم والناصرة والجليل، والأراضي المقدسة كلها التي شاهدت ميلاد سيد السلام وتضحياته ونشأة كنيسته، قد أمست اليوم مسرح قتال وصراعات دموية مؤلمة للغاية.

مضمون الخاتمة

٧. وفي الخاتمة ترفع الصلوات من أجل العالم بأسره وشرقنا بنوع خاص ومن أجل كل المسيحيين الذين أحبوا أرضهم وثبتوا فيها رغم كل الصعوبات، وتطلب شفاعة العذراء مريم ذلك المثال الأعلى لما تستطيع البشرية أن تصل إليه من سمو في العطاء. فعلى صورة المحبة الإلهية التي فاضت بنفسها على العالم، وعلى خطى مريم أم الكنيسة التي لم تبخل بابنها الحبيب من أجلنا، الكنيسة مدعوة الى بذل كل ما في وسعها، حتى ذاتها، كي تكون الحياة للناس وتفيض فيهم (يو ١٠/١٠).

ويدل اختيار هذه الآية من إنجيل يوحنا شعارا لمؤتمر بطاركة وأساقفة الشرق الكاثوليك الأول، من جهة، على ما يغمر المؤمنين بتجسد ابن الله الوحيد، من فرح عظيم في هذه الأيام المباركة التي يتذكر فيها الكون بأسره مولد الرب في بيت لحم منذ ألفي سنة، ومن جهة أخرى، على مسؤولية كنائسنا في نشر هذه البشرى في العالم وبنوع خاص في محيطها العربي والشرق أوسطي وأخيرا، على

رغبتنا نحن مسيحيي هذا الشرق، أن نكون على تواصل دائم مع الكنيسة جمعاء التي اختارت هي أيضا الآية ذاتها شعارا لسينودس آسيا.

الفصل الأول
دعوة كنائسنا الشرقية الكاثوليكية

مقدمة: مؤتمرنا على عتبة الألف الثالث

٨. في الوقت الذي يستعد فيه العالم المسيحي للاحتفال بيوبيل السنة الألفين لتجسد ابن الله، ينعقد **المؤتمر الأول** للبطاركة والأساقفة الكاثوليك في الشرق الأوسط للتأمل في هذا الحدث الخلاصي الكبير وهم عازمون على إيجاد سبل التعاون الكنسي بينهم وتعزيزها أمانة منهم لرسالتهم الراعوية في هذه المنطقة.

يعي المؤتمرون أن الاحتفالات الكثيرة التي ترافق هذا اليوبيل، يجب ألا يطغى عليها الروح العالمي، فتطمس المعنى البيبلي العميق لهذا الحدث الذي هو زمن توبة ورجوع إلى الذات، يتأمل فيه المؤمنون بالمسيح، أفرادا وجماعات، في أصل دعوتهم المسيحية وفي جوابهم عن هذه الدعوة.

وبالنسبة إلى كنائسنا الشرقية الكاثوليكية، فان يوبيل السنة الألفين يشكل محطة روحية هامة، نستجلي فيها، رعاة ومؤمنين، إرادة الله الخاصة بنا، هنا والآن ، حتى لا يكون حضورنا في هذه البقعة من الشرق، أرض التجسد، حضورا سوسيولوجيا فقط أو هامشيا بل حضورا كنسيا واعيا وفاعلا. ولكي يأتي مؤتمرنا بالثمار الروحية المرجوة، لا بد من التأمل، بادئ ذي بدء، في سر تجسد ابن الله، أساس خلاصنا، وفي سر الكنيسة المدعوة إلى مواصلة عمل الخلاص هذا. وإذا أردنا

ان يكون تأملنا متأصلا في البيئة التي ننتمي إليها، لا بد أن نظهر فرادة كنائسنا في فهمها وعيشها لسري التجسد والكنيسة من خلال مسيرتها التاريخية في هذا الشرق، مع ما تحمل من وهن وقوة وما واجهت من تحديات.

وغاية مؤتمرنا ليست البحث في الأمور العقائدية أو ابتكار أفكار جديدة في مواضيع رئيسية بقدر ما هي إيجاد سبل التعاون الكنسي بيننا. لذلك يقتصر الفصل الأول من مواضيع البحث على التذكير بالأسس اللاهوتية المتعلقة بسري التجسد والكنيسة، التي تنطلق منها كل رؤية صحيحة للمستقبل وعلى ضوئها يرتسم كل إصلاح وتعاون.

لا بد من الإشارة أخيرا إلى أن مواضيع البحث هذه تعتمد بشكل أساسي على الرسائل الراعوية الخمس التي أصدرها مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك بين سنة ١٩٩١ وسنة ١٩٩٨ والتي تناولت بشمولية وعمق المسائل المتعلقة بحضورنا المسيحي في الشرق من زاوية الشهادة والرسالة، والعيش المشترك بين المسلمين والمسيحيين، وسر الكنيسة والالتزام المسكوني[٢].

أولا: سر التجسد، الله يبحث عن الإنسان

٩. إن كلمة الله، بتجسده في ملء الزمن (عب ١/١ــ٢)، كشف لنا عن وجه جديد في علاقة الله الخلاصية بالإنسان. فالإنسان، مهما سما عقله وتجلت حكمته، لم يعد صاحب المبادرة في البحث عن الله ومعرفته. بل الله عينه بواسطة المسيح، هو الذي يبحث عن الإنسان، يكشف ذاته له، يصبح بشرا مثله في كل شيء – ما عدا الخطيئة (عب ٤/١٥) – يفتديه بالصليب الذي هو قوة الله (١

٢

/ .

قور ١/١٨)، ليقود الإنسان إلى أبيه السماوي، مصدره وغايته[٣].

سر التجسد هذا يشكل بداية المرحلة الأساسية في تلك المبادرة الإلهية التي تكتمل بسر الفداء، سر موت وقيامة المسيح وانتصاره على الشر، وإعطائه الروح القدس للتلاميذ. فبذور الموت والقيامة حاضرة في سر التجسد كما تظهرها بالرمز إيقونة الميلاد البيزنطية.

أما مفاعيل سر التجسد في حياة الإنسان، فقد عبر عنها القديس اثناسيوس الإسكندري (+٣٧٣) بشكل رائع حين قال: إن الله تجسد كي يؤله الإنسان . إن نظرية التأليه هذه، إذا فهمت بشكل صحيح، لا تعني هروب الإنسان من مسؤولياته اليومية أو من واقعه التاريخي للتلاشي في الله بقدر ما تعطي طبيعة الإنسان دفعا إلهيا كبيرا يعينه على تخطي ذاته والسيطرة على قوى الشر الكامنة فيه والتي تعيقه عن أن يستعيد في ذاته صورة الله التي شوهتها الخطيئة.

ثانيا: التجسد، سر الشركة بين أبدية الله وزمن الإنسان

١٠. إن كلمة الله الأزلي، بتجسده، دخل تاريخ البشر فقدس الزمن زارعا فيه بذور الأبدية[٤]. بتجسده كشف للإنسان أن الزمن الذي يعيش فيه والأبدية التي يسعى إليها هما مترابطان، فلا معنى للواحد دون الآخر. بالتجسد يصبح الزمن والأبدية الوجهين لمشروع خلاصي واحد هدفه الأخير أن يستعيد الإنسان بهاء صورة الله فيه.

تعيش الكنيسة هذا الترابط السري بين الأبدية والزمن من خلال احتفالها بالأسرار وخاصة الليتورجيا المقدسة حين تنتظر الجماعة الإفخارستية مجيء المسيح

---

٣ .

٤ .

الثاني، ومن خلال روحانية الحياة الرهبانية[٥]. وقد يرمز إلى هذا الترابط، ولو من بعيد، كل من عمل مرتا و إصغاء مريم (لو ١٠/٣٨ـ٤٢).

ولهذا الترابط، انعكاسات في حياة المؤمن. بالتجسد يعي أنه مدعو الى شهادة لإيمانه في مكان وزمان معينين، وبالتالي أن لا مجال له للتنصل من تأدية شهادته في المحيط الذي ولد فيه والذي إليه ينتمي. فالمؤمن بسر التجسد يلتزم الشهادة في المجتمع كما هو، لا كما يتصوره، أو كما ينبغي أن يكون ليرفعه إلى الله.

إلا أن مسيرة الإنسان الأرضية لا يكتمل معناها إلا إذا اقترنت بالبعد المعادي الذي يشكل حجر المحك لإيمان المسيحيين، به نمتحن طبيعة التزامنا المسيحي، في عمقه وثباته. ففي كل مرة نعيش إيماننا كأننا أبناء الأرض فقط ولسنا أيضا أبناء الملكوت، نفرغ هذا الإيمان من محتواه ومن الماوية الإنجيلية التي تحييه، وبالتالي يصبح انتماؤنا إلى الكنيسة مسألة حضارية، سوسيولوجية أو محض إيديولوجية لا تدفع بالمؤمن إلى الشهادة الصافية لقيم الإنجيل في عالم اليوم، حتى الاستشهاد، كما فعل آباؤنا الأبرار والصديقون.

ومن ناحية أخرى، إذا ركزنا إيماننا على البعد المعادي إلى حد التضحية بمقتضيات الزمن، يخشى أن نجعل من الكنيسة جماعة روحية لا قوام إنسانيا لها، كأن هناك طلاقا بينها وبين العالم الذي تعيش فيه. فالكنيسة كمؤسسها، جماعة إلهية وإنسانية. إن المسيح في صلاته الكهنوتية طلب إلى الآب أن يحفظ تلاميذه من الشر لا أن يرفعهم من العالم (يو ١٧/١٥).

إن التأمل في سر التجسد يقود المؤمن إلى اتباع نظرة متزنة ودينامية في علاقته بالله وبالكون تجمع بين الزمن والأبدية، بين هموم الأرض وخيور السماء،

---

٥ .

بين الذي قد تحقق من شرعة الملكوت ونحن على الأرض والذي لم يتحقق بعد.

ثالثا: الكنيسة تواصل عمل المسيح الخلاصي[6]

١١. إن مبادرة الله الخلاصية، بالمسيح الكلمة المتجسد، تمت بموت المسيح وقيامته وصعوده إلى السماء وجلوسه عن يمين الله (مر ١٦/١٩). إنما المسيح القائم من الموت شاء، وفق تصميم الله، أن تعم مفاعيل تلك المبادرة العالم كله، وذلك لما أرسل التلاميذ الأحد عشر لينقلوا تعليمه في كل مكان، قائلا لهم: إني أوتيت كل سلطان في السماء والأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا كل ما أوصيتكم به، وهاءنذا معكم طوال الأيام إلى انقضاء الدهر (متى ٢٨/١٨ــ٢٠).

أما كتاب أعمال الرسل فيخبرنا أن الحدث التأسيسي للكنيسة المبشرة كان في عيد الخمسين عندما امتلأ التلاميذ المجتمعون كلهم من الروح القدس، في مكان واحد، في أورشليم، ليصبحوا شهودا للمسيح في أورشليم، وفي كل اليهودية والسامرة، حتى أقاصي الأرض (أع ١/٨، ١٢ــ١٤؛ ٢/١ــ٤).

نتيجة القول إن الكنيسة التي نشأت في أورشليم، أم الكنائس ، والتي انتشرت في أنطاكية، حيث سمي التلاميذ أول مرة مسيحيين (أع ١١/٢٦)، وفي مناطق كثيرة من الإمبراطورية الرومانية وخارجها، هي معا في آن واحد ثمرة القيامة وعطية الروح القدس. فالروح الواحد يوزع المواهب على الكنيسة (١ قور ١٢/٤)، يعضدها في مسيرتها حتى نهاية العالم، يعلمها كل شيء، ويذكرها بكل ما قال المسيح (يو ١٤/٢٦).

---

٦ .

رابعا: الكنيسة جسد المسيح

١٢. إن الكنيسة واحدة ووحيدة في جوهرها[٧]. ولعل أجمل صورة للتعبير عن وحدتها وعلاقتها بالمسيح، نجدها في رسائل عديدة للقديس بولس حين يشبه الكنيسة بالجسد المتعدد الأعضاء والذي رأسه المسيح (رو ١٢/٤ـ٥؛ قول ١/١٧ـ١٨؛ ١قور ١٢/١٢، ٢٧؛ أف ٤/١٤ـ١٥). وعت الكنيسة منذ بداياتها، هذه الحقيقة مهما اتسعت رقعة انتشارها وتعددت ثقافات المنتمين إليها وتراثاتهم. فعاشت الوحدة في التعددية ـ الشركة من خلال كنائس محلية تربط بينها وحدة الإيمان والأسرار. وقد تمحورت تلك الكنائس بشكل أساسي حول المدن والعواصم الرئيسية للإمبراطورية الرومانية: روما، القسطنطينية، الإسكندرية، أنطاكية وأورشليم.

فكل كنيسة من تلك الكنائس، بالإضافة إلى أساسها الرسولي وتنظيمها البطريركي المستقل، كانت تعي أن الكنيسة الواحدة، الجامعة، المقدسة والرسولية ، التي ينص عليها قانون الإيمان النيقاوي ـ القسطنطيني، هي حاضرة في كل منها.

خامسا: الثالوث، مصدر وحدة الكنيسة ومثالها[٨]

١٣. بالإضافة إلى الأساس المسيحاني لوحدة الكنيسة حسب النظرة البولسية، هناك أساس ثالوثي منه تستمد الكنيسة مصدر وحدتها ومثالها. إن المسيح أظهر لنا من خلال حياته وتعاليمه ثالوثية الله.

فالمسيح هو الابن الوحيد الأزلي الذي جاء ليعمل مشيئة الآب الذي أرسله

---

٧ .

٨ .

إلينا لخلاصنا (يو ٥/٣٠). أما الروح فهو عطية الآب للتلاميذ بواسطة المسيح كي يقيم معهم إلى الأبد (يو ١٤/١٦).

يبدو لنا من تأملنا للعهد الجديد أن الآب والابن والروح القدس هم في وحدة تناغمية مع تمايز الأدوار والمهمات بينهم، وحدة هدفها الأساسي خلاص الإنسان والعالم. في الثالوث، يعي المؤمن أنه مدعو إلى التأمل في سر الوحدة في التعددية ـــ الشركة.

مأساة الكنيسة في الانقسامات التي صدعت وحدتها منذ القرن الخامس تكمن في عدم تمكنها من إرساء هذه الوحدة على أساس وحدة الثالوث الخلاصية. فهي في مسيرتها البشرية المتعثرة لعيش سر الوحدة، فشلت في إظهار التعددية ـــ الشركة على مثال ثالوثية الله في وحدانيته، فعرفت تعددية هي من نوع التشتت والتفكك ما زلنا نعاني من نتائجها السلبية حتى الآن.

ومن الأسباب التي أسهمت أيضا في تصديع وحدة الكنيسة هو الانحدار من مبدأ التعددية ـــ الشركة ذات الأساس الثالوثي إلى مبدأ التوحيد. فهذا الأخير، فضلا عن أنه تشويه للوحدة، لا يتحقق إلا بإلغاء الخصوصيات المشروعة ولا يتم غالبا إلا بالقهر وسيطرة فريق على آخر. أما محاولات التوحيد القسرية فكانت تمارس من خلال فرض عبارات عقائدية أو ليتورجية موحدة أو اتباع تنظيمات كنسية معينة ظنا من واضعيها ـــ مسؤولين كنسيين كانوا أم مدنيين ـــ أن هذا التوحيد يكون الضمان الأساسي لوحدة الكنيسة.

سادسا: هوية كنائسنا الشرقية الكاثوليكية

١٤. إن ما يميز كنائسنا الشرقية الكاثوليكية في هذه المنطقة هو هويتها الكنسية المزدوجة. فمن جهة، إنها شرقية في جذورها بحيث إن تراثا رسوليا، آبائيا،

ليتورجيا وروحيا، يجمع بينها وبين الكنائس التي انفصلت عنها في أزمنة وظــروف تاريخية وكنسية مختلفة معربة عن اتحادها بالكرسي الرسولي الروماني. مــن جهــة أخرى، هي كاثوليكية، بحيث إنها، باتحادها بكرسي روما، اعترفت بــأن أســقف روما، خليفة بطرس، هو هامة الرسل والرأس المنظور للكنيسة الواحدة، المقدســة الجامعة والرسولية، التي ينص عليها قانون الإيمان النيقاوي، والحاضرة في الكنيســة الرومانية. واعترفت أيضا بأن الوحدة المنظورة للكنيسة لا تتحقق إلا عندما يرتبــط الجسم الأسقفي كله بالكنيسة بأسقف روما، الذي هو بمثابة الرأس لهذا الجسم.

والانفصالات المشار إليها آنفا، أحدثت شرخا كبيرا في صفوف الكنــائس الشرقية، رعاة ومؤمنين، بين مؤيدين ورافضين للوحدة مع روما، لا تــزال آثــاره ونتائجه السلبية ظاهرة حتى الآن. إننا لنعتبر من نعم الروح القدس ما قد توصلــت إليه اللجنة المشتركة العالمية للحوار اللاهوتي الرسمي بين الكنيســة الكاثوليكيــة والكنيسة الأرثوذكسية ، والذي يعرف بوثيقة البلمند (١٩٩٣). بموجــب هــذا الاتفاق رفضت الحركة الوحدوية التي لم تعترف بسبيل للوحدة ســوى انضمــام المسيحيين الشرقيين إلى إحدى الكنائس التي تقر برئاسة أسقف روما. وقد اعتــبرت الوثيقة أن هذه الحركة مخالفة للتقليــد المشــترك بــين الكنــائس الأرثوذكســية والكاثوليكية[٩].

لا يغيب عن بالنا أن مهمة أسقف روما في الكنيسة الجامعــة هــي مــن المواضيع الكنسية الأشد دقة في الحوار المسكوني اليوم وأن الكلمة الفصل لم تقــل بعد في هذا المجال[١٠]. فالبابا يوحنا بولس الثاني، في أثناء لقائه في روما بخمس مــن بطاركة الشرق الكاثوليك، في ٢٩ أيلول ١٩٩٨، دعاهم ــــــ بصفتهم بطاركة كنائس تشترك مع الأرثوذكسية بتراث لاهوتي ليتورجي، روحــي وقــانوني إلى

٩ du Moyen-Orient Courier) .

١٠

البحث معه عن الوسائل الأكثر ملاءمة لكي تحقق مهمة بطرس خدمـــــة بشـــكل يعترف بها الجميع [١١].

إنا نجهل ما سيكون مصير كنائسنا الشرقية الكاثوليكية في ظل تقدم الحـوار المسكوني الثنائي التي تقوم به كنيسة روما مباشرة مع الكنائس الشرقية، الآشـورية، الخلقيدونية وغير الخلقيدونية[١٢]. إن ما يمكن استنتاجه في مرحلة أولية مـــن خـــبرة التاريخ هو أن هويتنا المزدوجة، الشرقية ــ الكاثوليكية، عندما تفهم وتعاش بشكل صحيح، تعطي لحضورنا في الشرق دينامية وغنى في شهادتنا المسيحية. فانتماؤنـــا الطبيعي والكياني إلى تراث الشرق المسيحي يجعلنا متأصلين في بيئتنـــا المسـيحية العربية، قريبين من هموم مجتمعنا، ويكون أيضا ضمانا ضد ذوباننا في تراث العــالم الغربي. أما اتحادنا بالكنيسة الكاثوليكية، فإنه يعطي لحضورنا انفتاحا حيويا علـــى التقليد المسيحي الغربي القديم والمعاصر، يقي كنائسنا خطر التقوقـــع والاكتفــاء بالذات. فالتقاليد الكنسية، شرقية كانت أم غربيـــة، هـــي خاصـــة والكنيســـة الكاثوليكية بمعناها الجامع، ولا يمكننا أن نقدر تلك التقاليد حق قدرها والإفـــادة منها كما يجب دون أن نعترف بكنيسة الجماعة التي هي مؤتمنة عليها.

لكل كنيسة من كنائسنا تاريخ في مسألة الاتحاد مـــع رومـــا. إنـــه مـــن الضروري أن يدرس هذا التاريخ بعناية وشمولية وموضوعية لإظهار ما هو إيجـــابي وما هو سلبي في هذه الهوية المزدوجة[١٣].

سابعا: نحو كرازة جديدة

---

١١ .

١٢ .

١٣ Joseph HAJJAR, *les* *uniates du Proche-Orient*, Coll. Univers, Ed. du Seuil, Paris, 1962 (nouvelle . aux Ed. Tlass, Damas, 1995).

١٥. بعد أن تأملنا، ولو بشكل مقتضب، في سري التجسد والكنيسة وفي هوية كنائسنا الشرقية الكاثوليكية، يجدر بنا في ختام هذا الفصل أن نخلص إلى تطلعات مستقبلية تطل بها كنائسنا على الألف الثالث من شهادتها المسيحية في هذه المنطقة.

إن كنائسنا، إيمانا منها بأن المسيح رأسها هو الألف والياء، الأول والآخر، البدء، والنهاية (رؤ ٢٢/١٣؛ ٢١/٦؛ ١/٨؛ ٢/٨)، تعي أنها على هذه الأرض في مسيرة حج مستمرة يحتضنها المسيح القائم من الموت ويرعاها منذ بداياتها إلى أن تجد كمالها فيه في نهاية الزمن. وذلك يدعونا إلى أن نسلك في هذه المسيرة المتعثرة بثقة البنين ورجاء الأبرار رغم كثافة خطايانا وتعثر خطانا.

إن روحية المسيرة تحث كنائسنا على ألا تكون ماضوية في ذهنيتها بحيث تتغنى أو تكتفي بالتراثات المتنوعة التي كونتها عبر تاريخها غير مكترثة بأمر تجديدها وتسليمها حية إلى الأجيال الطالعة. إن روحية المسيرة تدعونا إلى ألا نقلق ونخاف من المستقبل رغم خطورة التحديات التي نواجه، مثل تفاقم الهجرة ومسألة المساواة في المواطنية بين أبناء هذه المنطقة.

تعي كنائسنا بعين الإيمان أن حضور المسيح في الكنيسة لا يقتصر على المعمدين فيها، وبالتالي أن المسيح يعمل في الإنسان، أيا كان انتماؤه، بشكل لا يدركه ذهننا[١٤]. لذلك لا بد أن نحرر ذهنياتنا وذاكرتنا الجماعية من بقايا الطائفية والانطوائية وما تتضمنه من مفهوم ضيق وحصري، وندخل تدريجيا في منطق الكنيسة كما يريدها المسيح. فهي رسالة خلاص تشمل كل المعذبين على هذه الأرض كي يسترجعوا بواسطتها كرامتهم الإنسانية الممتهنة وحريتهم المسلوبة.

إن كنائسنا تؤمن بأن ميراث الملكوت مهيأ، منذ إنشاء العالم، كما يقول المسيح في إنجيل متى، للذين يمارسون المحبة في مساعدة الجائع والعطشان، والغريب

---

١٤ .

والعريان، والمريض والسجين (متى ٢٥/٣١ـــ٤٦). فحيث يكون هـــؤلاء تكـــون هناك الكنيسة.

لذا، على كنائسنا ألا تتحول بفعل الخوف إلى قلاع محصنة تصد البـــاحثين عن الله، عن الإفادة من خيراتها، بل إلى واحات تلاق بين البشـــــر لنشـــهد معـــا لحضارة المحبة .

الفصل الثاني
مقومات شهادة كنائسنا

مقدمة

١٦. إن هذا المؤتمر راعوي، أي إن مبتغى التئام البطاركة والأساقفة في أثنائه هو قبل كل شيء التباحث في علاقة كنائسهم بعضها ببعض، وبأبناء عصرهم وبيئتهم. وكان لا بد من العودة أولا إلى الأسس اللاهوتية التي تبنى عليها الرؤية الكنســـــية المميزة في المجالات الفكرية والعملية كلها. لهذا السبب تضمن الفصل الأول مـــــن مواضيع البحث عرضا سريعا للمبادئ الإيمانية التي تشكل المضمون الجوهــــري لدعوة كنائسنا الكاثوليكية الشرقية بين الأمس واليوم. وقد تم اســـتخلاص هـــذه المبادئ انطلاقا من التأمل في وقائع تاريخنا على ضوء معرفتنا للرب وتعاليمـــه. ولا عجب في ذلك إذ إن من ثوابت اللاهوت المسيحي الصحيح أنه ينمو ويتعمق مـــن خلال حركة ذهاب وإياب بين التفكير المجرد والتأمل بـــأحداث الحيـــاة الخاصـــة والعامة، وخصوصا تلك التي تمر بها الكنيسة. ألم يتمحور إيماننا حـــول شـــخص يسوع الناصري الذي عاش في منطقة معروفة من أرضنا وفي وقت محدد من زمننـــا وبشر باللغة الآرامية، لغة أجداد لنا، ومات صلبا وقبر على مدخل مدينة أورشـليم؟ أليس حدث قيامته من بين الأموات حيا منتصرا، ركيزة رجائنا لـــه ؟ والكنيســـة

نفسها لا تزال تكتشف ماهيتها ورسالتها من خلال تأملها في ذاهّا وتطوراهّا في سياق الأزمنة والأمكنة.

وتواصل مواضيع البحث توسعها في الفصلين الثاني والثالث على الوتيرة نفسها، أي إنها تنطلق من واقع المؤمنين الدنيوي والروحي كما عبر عنه هؤلاء في أجوبتهم عن أسئلة المحاور الأساسية . وما كان هدف هذه المحاور والأسئلة التي طرحت فيها سوى معرفة هذا الواقع وإصغاء الرعاة في الكنيسة إلى نداء الروح القدس الموجه إليهم من خلال أبناء كنائسهم. ويبدو أنه من الممكن تصنيف مجالات البحث إلى نوعين، أولهما منحصر في الشأن الكاثوليكي بحد ذاته وثانيهما منفتح على العلاقة بالمسيحيين الآخرين وبسائر المواطنين. ويتقدم الفصل الثاني الذي نحن بصدده منتقلا من الأفراد إلى الجماعات بحسب التفاصيل الآتية التي ذكرت أيضا في المقدمة: الكتاب المقدس ومكانته في نظر شعبنا، دور الليتورجيا في حياة جماعاتنا الكنسية، الضمير المسيحي أمام تحديات المجتمع المعاصر، أهمية التنسيق بين كنائسنا ودور مجلس بطاركة وأساقفة الشرق فيه، والتنشئة التي يتطلبها لدى الرعاة ومعاونيهم لينجح، وأخيرا، إمكانية تعميق معنى الشراكة في إطار الكنيسة الكاثوليكية جمعاء.

أولا: الكتاب المقدس، كلمة الحياة

١٧. أتيت لتكون الحياة للناس، وتفيض فيهم (يو ١٠/١٠). كلام المسيح هذا يقود حتما إلى التأمل في أهمية الكتاب المقدس، كلمة الحياة. فالسيد المسيح، كلمة الله الذي فيه كانت الحياة والحياة نور الناس (يو ١/٤) والذي فيه يكتمل وحي الله العلي، والذي بعد أن حقق في حياته على أرضنا الشرقية ما أعلنه في إنجيله والذي مهد له الأنبياء بمواعيدهم. لقد أمر رسله وأعطاهم المواهب الإلهية

ليكرزوا بها على الجميع مصدرا لكل حقيقة خلاصية ونظام أخلاقي [15]. بهذا الإيمان الراسخ تسلمت الكنيسة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ولا تزال تحافظ عليه بكل أمانة معتبرة إياه حضور المسيح المستمر والفعال إلى جانبها. "إنه حاضر في كلمته، لأنه هو الذي يتكلم عندما تقرأ الكتب المقدسة في الكنيسة [16]. وللدلالة على ذلك، أحاطت الكنيسة دوما الكتب الإلهية بالإجلال الذي تحيط به جسد المسيح، والليتورجيات الشرقية تقدم لها بنوع خاص الكثير من الاحترام والوقار بالرموز المختلفة كتقبيل الكتاب وإضاءة الشموع حوله وتقديم البخور قبل تلاوته.

وتجد الكنيسة في الكتاب المقدس على الدوام عمادها وحيويتها، غذاء أبنائها الروحي والينبوع الصافي لحياتهم المسيحية، كما أوضح المجمع الفاتيكاني الثاني: في الأسفار المقدسة يلتقي الآب السماوي بأبنائه بمحبة ويكالمهم [17]. تتقبل الكنيسة الكتاب المقدس بأنه حقا كلمة الله (ر. ١ تس ١٣/٢)، وتبشر به الخليقة كلها لا كونه مجرد كلام عن الله وحسب، بل كونه كلمة معلنة من قبل الله وفي حضرة الله (ر. ٢ قور ١٧/٢). هكذا اعتبر بولس نفسه لسان حال المسيح في بشارته الى أهل كورنتس: نحن سفراء في سبيل المسيح، وكأن الله يعظ بألسنتنا (٢قور ٢٠/٥). الكتاب المقدس هو قدرة الله وحكمة الله (١ قور ٢٤/١)، يحمل الحقيقة التي أراد الله أن تدون لأجل خلاصنا تعليما ثابتا وأمينا ومعصوما عن الخطأ [18] كله إنما الله ألهمه، وهو مفيد للتعليم والحجاج والتقويم والتأديب في البر، حتى يكون رجل الله كاملا، مؤهبا لكل عمل صالح (٢ طيم ١٦/٣ــ١٧). الكتاب المقدس، وبنوع خاص الإنجيل، هو حقا كلمة الخلاص (أع ٢٦/١٣)

---

١٥ .

١٦ .

١٧ .

١٨ .

والنعمة (أع ١٤/٣)، كلمة الحق التي بها نولد لحياة جديدة (يع ١/١٧؛ ١ بط ١/٢٣). لقد اعتبرت الكنيسة الكاثوليكية دائما أن كلام الله الذي صار شبيها بكلام البشر – كما أن كلمة الآب الأزلي صار شبيها بالبشر[١٩] – يمنح فعليا الخلاص والنعمة. وهي تقدمه للمؤمنين غذاء روحيا من على مائدة الرب. هذا هو المعنى العميق للوحدة القائمة بين ليتورجيا الكلمة وليتورجيا الإفخارستيا في القداس الإلهي. المائدة المهيأة لنا في الإفخارستيا هي، في آن واحد، مائدة كلمة الله ومائدة جسد الرب[٢٠].

يعي المؤمنون تماما أهمية الكتاب المقدس هذه. ولو أن قسما كبيرا منهم، يكتفون بسماع بعض النصوص الكتابية إبان الاحتفالات الليتورجية، إلا أن جميعهم يحبون الاطلاع عليه ويطمحون إلى فهم معانيه. لذا فإنهم يطلبون بإلحاح من رعاتهم استعمال الوسائل المختلفة التي يقدمها لنا العصر الحاضر من أجل نشر كلمة الله وتفسيرها. ويأتي في رأس هذه الوسائل العظة في الاحتفال الليتورجي التي يعتبرها دستور الليتورجيا المقدسة الوسيلة الأكثر ملائمة لنشر الكلمة، لذا يجب أن تؤدى بدقة وبأشد ما يكون من الأمانة[٢١]، لكي تحض الشعب على أن يقبلوا هذه الكلمة على ما هي حقا، أي كلمة الله. ولكي لا تبقى كلمة الله أسيرة التلاوات الطقسية، يرغب المؤمنون بتكثيف الإمكانات العملية الأخرى في سبيل التعرف على الكتاب المقدس: التعليم المسيحي في دور التربية، الكتب والمنشورات وخاصة الترجمات العربية للأبحاث البيبلية، وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة، ووسائل الاتصالات الحديثة. ويعتبر الكثيرون، استنادا إلى اختبارهم الشخصي، أن السهرات الإنجيلية، إضافة الى الندوات والمحاضرات، تسهم كثيرا في تسليط الأضواء على النصوص الكتابية وهي ذات أثر مفيد في الرعايا والجماعات المسيحية. يلقى

١٩ .

٢٠ .

٢١ .

المؤمنون مسؤولية نشر الكتاب المقدس على الأساقفة معلمي الإيمان المؤتمنين على كلمة الله ويطالبونهم بتهيئة الكهنة وتأهيلهم خلال دراستهم في المعاهد اللاهوتية للقيام بشرح الكلمة وترجمة الرسالة الإنجيلية إلى لغة العصر.

ولا يغفل أبناء الكنائس الشرقية أهمية القراءة الشخصية للكتاب المقدس التي يحرض المجمع الفاتيكاني الثاني بإلحاح على المواظبة عليها لأن من جهل الكتب المقدسة، جهل المسيح [٢٢]. انهم ينتظرون من الكنيسة السعي إلى تأمين الكتاب المقدس بنصه الكامل وبتفسيرات كافية لكل أبنائها. وبذلك يتدرب المؤمنون على استخدام الكتب الإلهية استخداما صحيحا يتشربون من روحها، فتكون لهم، بالإضافة إلى أفعال العبادة الأخرى، سبيل حوار مع الله: إلى الله نتحدث عندما نصلي، ولكننا نستمع إليه عندما نقرأ آيات الوحي الإلهي [٢٣].

ثانيا: الليتورجيا، حياة الجماعة الكنسية

١٨. في قمة اختبار الصلاة هذا، تعلو الإفخارستيا، القمة الأخرى المرتبطة بالكلمة ارتباطا لا تفصم عراه، إذ هي المكان حيث الكلمة صار جسدا ودما، في اختبار سماوي يصبح حدثا [٢٤]. إن الكلمة والإفخارستيا هما في علاقة حميمة، كما قيل في الفقرة السابقة. والليتورجية بكاملها هي في الواقع، المكان المميز لإعلان الكلمة، فضلا عن أن الإفخارستيا تشكل قمتها كما هي ذروة الحياة المسيحية بكاملها. الليتورجيا بكاملها هي المشاركة في سر المسيح، خصوصا في موته وقيامته. وهذا ما يتحقق بامتياز في القداس.

في الاختبار الليتورجي، يمثل المسيح الرب النور الذي يضيء السبيل

---

٢٢ ث .

٢٣ .

٢٤ .

ويكشف عن شفافية الكون، تماما كما في الكتاب المقدس. وفي المسيح تجد أحداث الماضي معنى وكمالا، والمخلوق يظهر كما هو: مجموعة من الخطوط لا تجد كمالها في التعبير وملء غايتها إلا في الليتورجيا (...). وفي هذا الإطار، تظهر الصلاة الليتورجية في الشرق، (الواحدة في غنى تراثها المشترك بالرغم من تنوع الطقوس)، كفاية عظمى لالتزام الشخص البشري بكماله: فالسر ينشد سمو محتواه، ولكن في الوقت عينه بحرارة العواطف التي يلهبها في قلب الإنسانية المخلصة. وفي هذا العمل المقدس، الحالة الجسدية مدعوة هي أيضا الى التسبيح. والجمال، الذي هو أحد الألفاظ المفضلة في الشرق للتعبير عن التناسق الإلهي ومثال البشرية المجددة، يتجلى في كل مكان: في أشكال المعبد، في الأصوات، في الألوان، في الأضواء، في الأطياب (...) فتصبح صلاة الكنيسة هكذا مشاركة في الليتورجيا السماوية، واستباقا للسعادة الأخيرة[٢٥].

فالواقع المشار إليه في الإجابة عن أسئلة المحاور الأساسية لا يعبر عن وعي المؤمنين الكافي على أهمية المشاركة في الاحتفالات الليتورجية، ومرد ذلك إلى جهل هؤلاء المؤمنين لمعناها من جهة، ومن جهة أخرى إلى صعوبة فهم أبعادها. فالحركات والرموز فيها هي صعبة الفهم لإنسان اليوم. اللغة الليتورجية هي أما قديمة ومهجورة خصوصا بالنسبة إلى الشباب، وإما فصحى وبالتالي غريبة عن ذهنية المشتركين. لذلك يصعب أحيانا على المؤمنين أن يلجوا إلى داخل السر الفصحي الذي هو محور الليتورجيا. مما يجعل منهم في غالب الأحيان متفرجين لا يعون من الاحتفال إلا بعده الاجتماعي خاصة في العمادات، والأعراس، والجنازات، الخ.

أمام هذا الواقع تحاول كنائسنا أن تتجدد ليتورجيا بالعودة ليس إلى الينابيع فقط بل إلى نبع الينابيع. فهي لا تكتفي بترجمة النصوص القديمة إلى العربية

---

٢٥ .

وحسب، بل تطورها وتضع نصوصا ورتبا جديدة، وتجهد لاكتشاف تعابير رمزية جديدة تخاطب إنسان عصرنا، علاوة على سعيها لتفسير الرموز القديمة. كل هذا يهدف الى أن تؤدي الليتورجيا غايتها. وهي، وبحسب الترجمة الحرفية للكلمة، عمل الشعب أو الخدمة (المقامة) من والى الشعب . وتعني في التقليد المسيحي أن شعب الله يشارك في عمل الله فتكون له مصدر حياة. هي إذن مشاركة في عمل المسيح الكهنوتي حيث تجد الصلاة المسيحية مصدرها وإيمان الكنيسة تعليمها[٢٦].

ثالثا: صوت الضمير

١٩. يكتشف الإنسان في أعماق ضميره وجود شريعة لم يسنها لنفسه ولكن عليه أن يخضع لها. إن هذا الصوت الذي لا ينفك يحرجه ليعمل الخير ويحبه ويتجنب الشر يدوي في الوقت المناسب في صميم قلبه (...) هذه هي شريعة وضعها الله في قلب الإنسان (...). فالضمير هو أعمق ما في الإنسان من مركز، هو المقدس الذي يلقى فيه الله وحده ليسمع صوته [٢٧].

هذا المقدس، مع أن فيه شيئا من الفطرة إلا أنه يربى وتربيته هي عمل الحياة كلها [٢٨] تلعب فيها تعاليم الإنجيل دور المصباح الذي ينير ويهدي وينمي الفضائل[٢٩]. إلا أن هذا الضمير يواجه في عالم اليوم ضغوطات جمة، ويسمع نداءات كثيرة تشكل بالنسبة إليه مصادر تشويش وأسباب تخدير إذا ما انجرف الإنسان معها مات ضميره وفسدت أخلاقه. وإذا كانت الذئاب تأتي دوما متخفية بأثواب الحملان، فأثواب الحملان في عصرنا هذا كثيرة. على سبيل المثال لا الحصر الدعوة

---

٢٦ .
٢٧ .
٢٨ .
٢٩ .

الى العلمنة بحجة احترام حرية الضمير والمعتقد والمساكنة وما شابه، فتصبح حريـــة ضمير الفرد غير مشروطة.

باستطاعة الديموقراطية التي أحسن ما فيها أنها حكم الأكثرية وأبشع مـــا فيها أنها طغيان الأكثرية خاصة بالضغط على ضمير الآخرين، أن تشرع مـــا لا يرضى به ضمير المسيحي كالسرقة والإباحة الأخلاقية بحجة أن الأكثرية المطلقـــة أقرتها.

هناك خطر في التقدم المستمر للعلوم على كافة الصعد، وخاصة البيولوجيـة منها والطبية، وهو ممارسة عمليات لا أخلاقية كالإجهاض، والاستنساخ وغيرهـــا، دون أي رادع.

القوانين التي غالبا ما تكرس بنصوصها أمورا منافية للأخلاق والضمير قـــد تشكل بذلك غطاء ومبررا لمرتكبيها، ونلاحظ في عالمنا الحاضر ازديادا لعدد الـدول التي أصبحت تشرع الاجهاض، والقتل الرحيم، واللواط... ويخشى أن تزداد هـــذه الدول وأن تشوه القوانين جوهر الطبيعة الانسانية الحقيقي.

زد على ذلك ضغوطات المجتمع الاستهلاكي على ضمير الناس، اذ يصبـــح فيه الربح المادي المقياس الوحيد للتحليل والتحريم. ولا يقولن قائل إن معظم هـــذه المحاذير يهدد الغرب أكثر من منطقتنا الشرقية؛ فمع ســـهولة الاتصـــال ووســـائل الاعلام المتعددة والمتنوعة لم يبق هناك حدود تفصل شرقا عن غـــــرب، ولم يعـــد باستطاعة الحدود الجغرافية أو غيرها من حدود أو ضوابط لمنع انتشار هذه الأفكـــار أو تلك، فالعالم أصبح قرية صغيرة.

هنا تبرز أهمية دور الكنيسة النبوي في توعية الضمائر وتنبيهها، والأهـــم في تربية الضمائر أن تؤهلها لتحكم الحكم الصائب على ما يدور حولهـــــا، وتتخـــذ الموقف الإنجيلي الصحيح منها.

رابعا: التنسيق بين كنائسنا الكاثوليكية في الشرق

٢٠. من بين الأمور التي احتلت الصدارة في أجوبة المؤمنين عن أسئلة المحـــاور الأساسية ، شوقهم إلى معاينة تنسيق جدي بين كنائسنا. انهم يعيرون هذه المســألة أهمية فريدة معتبرينها الضمان الأول لبقائهم شهود محبة مسيحية صادقـــة. وهـــم يدعمون مطلبهم هذا بحجج لاهوتية وخصوصا، يتمنون تحقيقه بواســطة خطـط فعالة وسريعة. ومما يجعلهم أكثر إلحاحا أن المبادرة التي أطلقها منذ بضعـــة ســنين بطاركة الشرق الكاثوليك بتأسيس مجلس أعلى لهم، أراحهم جدا ويستبشرون خيرا من انعقاد هذا المؤتمر.

ومما لا شك فيه أن تطلعا من هذا القبيل، يعكس رؤية صحيحـــة لســر الكنيسة ويتوافق مع التقليد المشترك للكنائس الكاثوليكية. فمن المبادئ اللاهوتيـــة الأساسية، أن الأسقف لا يستطيع فصل خدمة أبرشيته عن هم الكنائس الأخــرى، بدءا بكنائس أمته ومنطقته وذلك، بفعل انتمائه إلى هيئة الأساقفة الـــتي خلفـــت هيئة الرسل . فهو يشارك الأساقفة الآخرين والأول بينهم، أســـقف رومـــا، في مسؤولية حمل رسالة الكنيسة الواحدة، المقدسة، الكاثوليكية والرســـولية. ولقـــد ترجمت هذه المسؤولية المشتركة، منذ القرن الأول، "بالسينودســـية . وتم التنظيـــم على قاعدة الدوائر المدنية والتوافق الثقافي لـــدى المؤمنـــين. وهكـــذا ازدهـــرت البطريركيات وكان البطريرك الأب والرئيس المنتخـــب مـــن قبـــل اخوتـــه في الأسقفية.

أ. أبعاد الشركة بين الكنائس الشرقية

٢١. ومهما يكن تاريخ المؤسسة البطريركية، فإننا، في الشرق نرث واقعا يطلب منا التوفيق بين بعدين للشركة بين الكنائس: الأول، هو احترام هوية كل كنيســة

بطريركية، أي الاعتراف بكونها كنيسة حقيقية، كما تظهر في تقليدهـا الخـاص، الليتورجي واللاهوتي والروحي والقانوني؛ والثاني، هو المسؤولية المجمعية التي تدعو البطاركة وسينودساتهم، في الأراضي المشتركة بينهم، إلى الالتفاف، ليكونوا صوتـا واحدا، لمعالجة المشاكل التي تلزم الإيمان المسيحي، وعلى الاستجابة معا للحاجـات الراعوية التي تعجز البطريركيات عن حلها، كل على حدة.

فانطلاقا من المبدأ الأول، ليس مجلس بطاركة الشرق الكـاثوليك سـلطة عليا، وليست مؤتمراته سينودسات. فهو، من حيـث طبيعتـه،"علامـة مجمعيـة بطريركية وأداة لها [٣٠]. وهو، يسعى، على أساس هذه الصفة، إلى تطبيق المبدأ الثاني المتعلق بالمسؤولية المشتركة المشمولة في المجمعية. ويبقى تنسيق النشاط الراعـوي في كنائس الشرق الكاثوليكية [٣١] هدفا نظريا إذا لم توضع موضع العمل وسائل مجدية من اجل بلوغه. أجمعت الأجوبة على أسئلة المحاور الأساسية علـى أن الاتفـاق على هذه الوسائل هو بالتأكيد الهدف الرئيسي لهذا المؤتمر.

ب. وسائل التعاون بين الكنائس الشرقية

٢٢. يطلب عدد من الأجوبة عن المحاور الأساسية أن تتميز وثيقـة المؤتمـر النهائية عن الرسائل الراعوية – وكم هي ضرورية ومفيـدة! – فتكـون شـرعة عملانية ودليل عمل راعوي للمؤمنين ورعاهم يقـترح عليـهم أهدافـا محـددة لتحقيقها. وتطرح هنا مسألة: كيف نجد الوسائل المناسبة التي يتم بواسطتها تنسيق النشاط الراعوي في الكنائس الكاثوليكية الشرقية؟

بعض هذه الوسائل مطلوب في قوانين الكنائس الشرقية، ويجب وضعـها موضع العمل. تبين الدراسة ما يجب استنباطه بروح الشركة عينها. فمن خـلال

٣٠ .

٣١ .

الأجوبة عن المحاور الأساسية وردت اقتراحات كثيرة تتلاءم وهذا القول: للحاجات الجديدة بنى جديدة ، علما أن جوهر المسألة هو تغيير الذهنيات:

١. **على صعيد الرعايا:** حيث تتواجد جماعات رعوية من عدة كنائس كاثوليكية على الأرض نفسها، تطرح، بالضرورة، مشاكل تتعلق بالتنسيق الراعوي. فمن البديهي عندئذ، أن يجتمع الكهنة المعنيون ويتداولوا. ومبدئيا، لكل كاهن منهم مجلس رعائي يساعده. فيصبح التنسيق المرتجى ممكنا بفضل هيئة مختلطة بين تلك الرعايا مهمتها العناية بالنشاط المشترك الذي لا يتعارض مع الهوية الكنسية الخاصة بكل رعية.

٢. **على صعيد الأبرشيات:** القضية مماثلة وتطرح بالتالي مشاكل في التنسيق الراعوي، ولكن، هذه المرة، بين الأساقفة. فهم أيضا، مدعوون إلى الالتقاء، والتداول، والتقرير معا في المسائل المشتركة كلها ضمن قطاعهم الراعوي. ولكل منهم، مبدئيا، مجلس راعوي ترفع، بفضله، مشاكل الرعايا والمؤسسات الكنسية إلى المقر الأسقفي، إذا كانت المسؤوليات موزعة بحسب الحاجات والكفاءات. فإذا كان هذا شأن كل أسقف معني، تمكن الجميع من تنسيق نشاطاتهم المشتركة في قطاعهم الراعوي. والوسيلة المناسبة عندئذ، تكون هيئة مختلطة مطابقة للواقع، خاصة بكل نشاط مشترك، أو مجلس راعوي مشترك، بين الكنائس الكاثوليكية في المنطقة نفسها. وبفضل هذا التعاون، يمكن تلبية التمني مثلا، أن تحصل الرعايا التي ليس لها رعاة، على الخدمة من كهنة ذوي طقسين أو أكثر.

٣. يشتمل **مجمع السلطات الكاثوليكية** في قلب كل أمة على بنى للتنسيق

بفضل اللجان الأسقفية المختلفة. إن إحدى الوسائل المقترحة هي تشكيل جماعات عمل مختلطة من اللجان الأسقفية، مثلا تعليم ديني – ليتورجيا، أو عمل مسكوني – رسالة العلمانيين. مما يوجه المجموعات المختلطة نحو الاتصال على مستوى الأبرشيات والرعايا، لتتمكن من تأمين رفع إشكاليات التنسيق إلى مستوى مجمع مجلس السلطات الكاثوليكية في البلاد. ونستطيع أن نتصور بالتالي، انعقاد مؤتمرات وطنية من اجل تنسيق هذا النشاط الراعوي أو ذاك.

٤. **على صعيد سينودوسات البطاركة**: نشعر في الأجوبة عن المحاور الأساسية أن السينودوسات المقدسة في الكنائس البطريركية لا تلقى اهتماما كبيرا لدى المؤمنين والكهنة. ذلك إن سينودس البطاركة يعالج أولا مسائل داخلية خاصة بالكنيسة. ورغم ذلك، فهو معني، بموجب المسؤولية المجمعية المشتركة بالمسائل التي تهم كل الكنائس الموجودة على ارض البطريركية. ويبقى أن السينودس، الذي يرئسه البطريرك، هو السلطة التقريرية العليا في كل كنيسة بطريركية. ذلك هو شأن التوصيات والقرارات المنبثقة عن مجلس السلطات الكاثوليكية على الصعيد الوطني، وشأن كل ما يصدر عن مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك على صعيد المنطقة: لن يكون تطبيقه فعليا، إلا إذا اقتنع به سينودس البطاركة وأساقفته وعملوا على ترجمته في الوقائع. عندئذ يمكن أن يرسي القبول النهائي لدى المؤمنين في الحياة الراعوية.

٥. ويندرج في هذا الإطار، **على مستوى المنطقة، مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك** كأداة مجمعية بطريركية للتنسيق الراعوي التي تتطلبه المسائل المشتركة. هذا المجلس لا يحل محل سينودسات البطاركة ولا محل

مجالس السلطات الكنسية على الصعيد الوطني ولا يتدخل في الخدمة الرعوية في الأبرشيات ولا في الرعايا. فما هي الوسائل التي يملكها لكي يكون دوره كمنسق أكثر فعالية؟ من المهم كما يبدو، للإجابة عن هذا السؤال أن نعتبره نتيجة حتمية لطبيعة المجلس نفسه: أداة مجمعية بطريركية وأداة اتحاد كنائس الشرق الكاثوليكية في قلب الكنيسة الجامعة [٣٢]. يجب أن تقوي وسائله الجديدة الروابط بين البطاركة فتتثبت بذلك روابط الاتحاد بين كنائسهم.

ج. مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك

٢٣. يتمتع المجلس بالشخصية المعنوية [٣٣]، وتتألف حاليا أمانة السر العامة في المجلس من أمين عام ومن أمناء البطاركة ومن أمناء معاونين ومن مسؤول عن الإعلام [٣٤]. وتحدد المادة ١٥ مهمات الأمين العام العشر. أما مهام أمناء البطاركة فيبدو أنها محدودة بإعلام البطاركة، باستمرار، عن نشاطات المجلس أو اجتماعاته [٣٥]. وأما الأمناء المساعدون، فالمادة ١٦ تذكر فقط وجودهم وتعيينهم ومدة انتدابهم. فالأمانة العامة لمجلس بطاركة الشرق الكاثوليك هي الجسم التنفيذي المباشر والدائم للمجلس [٣٦]، ويقترح أن يمتلك هذا الجسم إمكانات فعالة لتحقيق التنسيق المرجو.

ويسأل البعض عن الإعلام[٣٧]: فهل بالإمكان توسيع نشاطاته لتشمل النشر

٣٢ .
٣٣ .
٣٤ .
٣٥ .
٣٦ .
٣٧ .

والمواد السمعية ـــ البصرية والبث من اجل التعارف المتبادل بين الكنائس، وإيضاح بعض الاتفاقات، وكذلك من أجل تقوية القدرات التقنية وقدرات المراسلة. وهـــذا التبادل أساسي ويمكن تثبيته باللقاءات والدورات والمحاضرات وغيرها.

والهدف الأخير من كل هذا المسعى هو تجسيد ظـــاهر لدعـــوة الكنيســـة كشركة تتحقق بالتعاون الفعلي.

خامسا: تنشئة الرعاة والأعوان الراعويين للعمل معا

٢٤. مما لا شك فيه أن لتنشئة الرعاة والأعوان الراعويين علـــى العمـــل معـــا الأولوية بين الأهداف المطلوبة للتنسيق بين الكنائس الكاثوليكية لأنه شرط أساسـي لتحقيق هذا التنسيق.

إن تنشئة الرعاة تهتم بالخدام المرسومين: الأساقفة، الكهنة والشمامســـة؛ أما تنشئة الأعوان الراعويين فهي تهتم باشتراك مؤمنين علمانيين وأعضاء معـــاهد التكريس للحياة الرسولية في العمل الراعوي. وهذه التنشئة مرتبطة طبعا بالحاجـات ورهن إمكانات كل بلد ومنطقة. إنها تستكشـــف، قـــدر الإمكـــان علـــى يـــد اختصاصيين من رعاة ولاهوتيين وعلماء اجتماع الخ. ومن خلال بنى تؤسس لهـــذه الغاية.

والإمكانات معروفة عموما: المدارس الاكليريكية، كليـــــات اللاهـــوت، المعاهد العليا ومراكز التنشئة المسيحية. وفي هذا الشأن يلزم تأمين تعليم مســـيحي للبالغين وبرامج وقواعد تربوية تؤهل أعوان راعويين للتعليم المســـيحي والشـــؤون الصحية، والتربية، والخدمة الاجتماعية الخ. إن معاهد التكريس للحياة الرســـولية معنية مباشرة بهذا النشاط. والأهم هو إعداد الرعاة والأعوان الراعويين على العمـــل معا مع احترام خصوصية تقاليد كل كنيسة.

ويرتدي هذا العمل معا أشكالا متغيرة بحسب المهمات المعنية وبحسب الإمكانات المحلية. ولكن هناك طريقة للحل مقترحة تظهر منذ البدء كأنها ممكنة ولازمة وهي تتعلق بالتنشئة اللاهوتية والراعوية للطلاب الإكليريكيين ولطلاب الشماسية. إنها أساسية لأن مجالات التنشئة الأخرى مرتبطة بها.

على الصعيد الإقليمي، من المفيد أيضا أن يتشاور المسؤولون عن كليات اللاهوت وعن المدارس الاكليريكية حول وسائل التعاون في ما بينهم توصلا إلى معرفة متبادلة للتقاليد الاكليريكية الغنية في كنائسنا.

يطالب البحث بتنشئة مستمرة وطرق تأمينها على الصعيد المحلي للأبرشيات أو في نطاق القطاعات الراعوية حيث يكون عدة أساقفة مدعوين إلى تنسيق جهودهم. إن التنشئة المستمرة للكهنة والشمامسة ليست، بذاتها، من عمل مؤسسات أكاديمية، إنما هي من مهمة الأساقفة الراعوية [٣٨].

كذلك، يكون تنظيم التنشئة المستمرة للأعوان الراعويين، على الصعيدين المحلي والوطني، ثمرة تفاهم بين الأساقفة المعنيين ورؤساء معاهد الحياة المكرسة ورئيساتها واللجنة الأسقفية للعلمانيين.

وأخيرا على الصعيد المحلي، ينصحنا الإرشاد الرسولي، رجاء جديد للبنان ، بخصوص التنشئة الأساسية والتنشئة المستمرة على السواء، أن تؤمن أوقات تنشئة مشتركة للطلاب الإكليريكيين... (وللكهنة)، للرهبان، للراهبات وللعلمانيين [٣٩]. إذا ما أردنا أن نكون معا، فعلينا العمل معا.

---

٣٨ .

٣٩ .

سادسا: تعميق معنى المشاركة مع كل الكنيسة الكاثوليكية

أ. مشاركة الإيمان مع أسقف روما والعلاقات مع الدوائر الرومانية

٢٥. إن الردود على المحاور الأساسية حول هذا الموضوع تجمع على الاعتراف بأن كنائسنا تشارك كليا بالعقيدة أسقف كنيسة روما الذي هو علامة الإيمان الذي تلقيناه من الرسل وضامنه وخادمه. وتعبر الأجوبة عن السرور بالعلاقات الأخوية القائمة بين قداسة البابا وبطاركتنا. إنها تشير أيضا إلى مدى عنايته الراعوية بكنائسنا منذ عشرات السنين. وأخيرا نذكر أن قداسة البابا يوحنا بولس الثاني، تحضيرا لهذا المؤتمر، استقبل بطاركتنا السبعة في لقاء خاص بتاريخ ١٩٩٨/٩/٢٩ للتذكير بأنه، تجاوبا مع التقليد المتوارث منذ القرون الأولى، تحتفظ الكنائس البطريركية بمكانة فريدة لدى المجموعة الكاثوليكية. لنفكر بكل بسلطة في أن تعود للبطاركة ومجالس أساقفتهم السلطة العليا في كل القضايا، ومنها في حق انتخاب الأساقفة ضمن النطاق البطريركي مع حفظ حق الحبر الروماني الدائم بالتدخل في كل قضية تدرس على حدة [٤٠].

وفي ما يخص العلاقات بالدوائر الرومانية، تتمنى الأجوبة أن تكون أكثر إيجابية، ومبنية على الثقة وأن تكون صافية، ليس فقط في المسائل الجائز طرحها حول بعض الأمور نظير طريقة انتخاب البطاركة والمطارنة، أو علاقة أبرشيات بلدان الاغتراب مع الكنيسة الأم الخ.، ولكن أيضا في السعي كي يصبح مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك ، المرجع العادي لمؤمني الشرق في كل خصام ممكن وكل تنسيق بين كنائسنا مع المحافظة على العلاقات الخاصة التي تجمع كل بطريركية بكرسي روما. يتكلم وقتئذ رؤساء كنائسنا بصوت واحد كلما طلبت الشركة ذلك. وهذا التمني ضروري خصوصا أن عددا كبيرا من الأجوبة يرى

---

[٤٠] .

ملحا أن تضمد أولا الجراح العميقة التي تتألم منها كنائسنا بسبب خصوماتها الماضية. ويعطي حينئذ للدوائر الرومانية أن تقوم بالدور الذي يعود أصلا إليها في هذه الشركة مع كرسي روما والكنيسة الجامعة في كل مسألة تتطلب التشاور والتنسيق بين كل الكنائس.

ب. العلاقات مع كنائس المنطقة والكنائس عبر البحار

٢٦. نظرا الى أن من غايات المؤتمر الحاضر توعية كنائسنا على دعوتها ورسالتها، ولأنه بها يأتي المسيح نحو أناس منطقتنا لكي تفيض فيهم الحياة، فإن المؤمنين كافة والرعاة مدعوون إلى رفع نظرهم إلى ما هو أبعد من آفاقهم اليومية: هل تقوم كنائسنا بالرسالة الملقاة على عاتقها؟ وهل تتوجه حقا حيث يرسلها الرب؟ وتلخص أجوبة المؤمنين عن هذا السؤال الوارد على الأقل بمعناها، في المحاور الأساسية كما يلي: لنفكر في ما تصير إليه أو في ما يمكن أن تصير إليه الكنيسة في مناطقنا وفي المناطق الحدودية للشرق الأوسط: إن الشركة ، ، سر الثالوث الأقدس الذي هو مصدر ومثال سر الكنيسة، تترجم بمشاركة الكنائس وبالتعاون في ما بينها. وبين هذه الكنائس من هي بحاجة ماسة وحياتية لمساعدة الكنائس الأخرى. كنائس أخرى لا تشكو من النقصان في الكهنة والشبان المستعدين لتلبية النداء. وهنالك من يطلب من الأمانة العامة لمجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك أن يزود أعضاء المؤتمر بمعلومات دقيقة عن الوضع العام في هذا الحقل.

في بلدان الاغتراب ربما تكون الحاجات أقل إلحاحا، لكن إهمالها اليوم سيؤدي إلى نتائج وخيمة: في نهاية الجيل الثالث تستكمل عملية الاندماج الثقافي والعقائدي في البلدان المضيفة. ولن يبقى للكنيسة الأم إلا رباط عاطفي بالانتماء العرقي ــ الإيماني (مولود غريب للطائفة الأصلية) ولكن دون علاقة حيوية

بكنيستهم التي لم تبق أما إلا بالاسم. تركنا هؤلاء الأولاد وهم يساعدوننا ماديا أو ثقافيا ولكنهم يحتاجون، في أغلب الأحيان ودون تأخير، إلى الكهنة، إلى شمامسة، إلى رهبان وراهبات لمساعدتهم على الصلاة، على العيش وعلى إعلان نفحة الرئة الشرقية لكنيسة الله في كنائس وثقافات أخرى.

الفصل الثالث
الالتزام المسكوني والخدمة المشتركة

مقدمة

٢٧. كما أرسلني الآب أرسلكم أنا أيضا (يو٢٠/٢١). لم يوجه المسيح كلامه إلى تلاميذه أبناء الكنيسة الكاثوليكية وحدهم، بل إلى جميع الذين سوف يؤمنون به على مدى العصور. فالمسيحيون بأجمعهم مرسلون معا إلى العالم انطلاقا من بيئتهم، حاملين بشرى الخلاص وداعين الأمم إلى الشركة مع الله.

وقد شاء سبحانه وتعالى أن يطل الألف الثالث علينا مفعما بالبركات السماوية إذ إن الصلوات ترتفع إليه من كل بيت مؤمن ومن كل كنيسة إلى أية جماعة مسيحية انتموا، من أجل عودتهم صفا واحدا إلى ربهم ومعلمهم الأوحد. وطريق العودة طويل وشاق لأن كل نفيس لا يحصل عليه الإنسان إلا بالكد والتعب والالتزام الثابت: فملكوت السماوات يؤخذ بالجهاد، والمجاهدون يختطفونه (متى ١١/١٢) و الالتزام المسكوني من صلب الحياة المسيحية وله شروطه.

وإن كانت العبارة الالتزام المسكوني تعني انفتاح كل كنيسة أو جماعة

مسيحية على غيرها في الأرض كلها، فهي أيضا توجه التفكير نحو انفتاح الكنائس ككل أبناء المسكونة، خصوصا أن وحدة المسيحيين تنبع من الثالوث الأقدس. فكما أن اتحاد الأقانيم الثلاثة هو مصدر فيض الحياة الإلهية وخروج الابن من لدن الآب إلينا وحلول الروح القدس في كنيسته لخلاصنا، كذلك كلما اشتدت وحدة المسيحيين ازداد اندفاعهم لخدمة مشتركة لمجتمعهم وللعالم بأسره. ولهذه الخدمة أيضا شروطها ومجالاتها.

أولا: الالتزام المسكوني

٢٨. إن مجموعة قوانين الكنائس الشرقية تلحظ إشتراك مسؤولي الكنائس الذين ليسوا بعد في شركة تامة مع الكنيسة الكاثوليكية [٤١]، في مثل المؤتمر الذي نحن في صدده. وفي الإطار الكنسي الشرق أوسطي، يعتبر ممثلو الكنائس الأرثوذكسية والشرقية الأرثوذكسية، والكنائس أو الجماعات الكنسية المصلحة، أكثر من مراقبين مثلما هم في سينودسات المطارنة في روما. إنهم معنيون مباشرة مع الكنائس الكاثوليكية بمشاكل الدين المسيحي في المنطقة: نكون مسيحيين معا أو لا نكون [٤٢].

أ. ملاحظات أولية

٢٩. تقدم الأجوبة عن الأسئلة المطروحة من قبل المحاور الأساسية أول نقطة انطلاق. ونلاحظ، بالإجمال، تقدما في جو الثقة بين المسيحيين، وتبرز مبادرات إيجابية على احترام أكبر لآراء الكنائس الأخرى، مثل المشاركة في أسبوع الصلاة لتوحيد الكنائس، والتعاون بين كهنة بعض الرعايا. ونلاحظ أيضا نواقص مهمة في

---

٤١ .

٤٢ .

المعنى المسكوني:

- تبقى، عند الشعب، إرادة التعاون بين المسيحيين غامضة وعاطفية.
- لا تزال العقلية الطائفية في عدد كبير من المناطق أقوى من معنى الكنيسة ورسالتها ومهمتها. إن الرسالة الراعوية الرابعة لمجلس بطاركة الشرق الكاثوليك (ميلاد ١٩٩٦) عن سر الكنيسة شركة مجهولة فعليا من قبل المؤمنين والكهنة.
- ونلاحظ إهمالا لكيلا نقول انعداما في التأهيل المسكوني، حتى عند عدد كبير من الرعاة، الذين يبدو أنهم يجهلون المبادئ الكنسية لخدمة الوحدة وتوجيهاتها العملية.
- يجهل معظم المسيحيين وجود مجلس كنائس الشرق الأوسط ويتساءلون: أين أصبح التقارب اللاهوتي والروحي بين الكنائس؟
- إنهم يتألمون، خصوصا في بعض المناطق، لقساوة التعامل بين الكنائس مما يؤدي شهادة عكسية تبعد الكثيرين عن الإيمان؛ والإكليروس خاصة معني بذلك؛
- ونأسف خاصة على النقص في توزيع الوثائق مثل: دليل العمل المسكوني، والرسالة البابوية الجامعة ليكونوا واحدا ووثيقة البلمند (١٩٩٣).
- وأخيرا الجو المسكوني هو جو انتظار مستسلم، وكأن حل مشكلة التقسيم يجب أن يتم من موضع آخر.

ب. أهداف مشتركة

٣٠. أمام تحديات العولمة وانتشار الروح العلمانية، أصبح الإعلان عن إنجيل

الخلاص والشهادة له، بصوت واحد، وفعل واحد، هدفا مشتركا ملحا. الموضوع هو خصوصية نظرة جميع المعمدين باسم الثالوث الأقدس إلى الأسئلة الكبيرة الحالية مثل: حقوق الإنسان، والهجرة وأسبابها، والحق في الحياة، ووضع النساء والأطفال، والمواطنية في المجتمعات المتعددة الأديان، إلخ.

كذلك بعض المشاكل الراعوية المشتركة على الصعيد المحلي والإقليمي مثلا: راعوية الزواج المختلط، (وليس فقط من الناحية القانونية) وتعليمات مشتركة وواضحة عن المشاركة في الأسرار ، وتطبيق التوجيهات المسكونية المقترحة في وثيقة البلمند، وأخيرا التعاون في النشاطات الثقافية والخدمة الاجتماعية.

وبفضل التعمق في تقاليدنا المشتركة، التي يشهد لها الآباء والقديسون، تستعيد الكنائس الشرقية وحدتها العميقة. هدف هذا التعمق هو اكتشاف جديد لميراثنا المشترك والتعريف به وتبادله. فإذا قرأنا معا تاريخنا، نطهر ذاكرة كنائسنا ونساعد بعضنا بعضا على تحويل ذهنيتنا إلى المسيح.

أما بالنسبة إلى الحوار اللاهوتي الضروري لاسترجاع الشركة الكاملة في الإيمان، من الأكيد أن كنائسنا متضامنة مع الحوار المسكوني على الصعيد العالمي. إنما، من الصحيح أيضا أن الحوار على الصعيد الإقليمي يتحكم بالحوار على الصعيد العالمي. وهذا يظهر خاصة في مسألتين:

- كيفية ممارسة خدمة الوحدة المنوطة بأسقف كنيسة روما. وهذه هي الدعوة الموجهة من يوحنا بولس الثاني إلى الكنائس، في الرسالة البابوية ليكونوا واحدا وكررها مؤخرا لبطاركة الشرق الكاثوليك (٩٨/٩/٢٩): يعود إليكم أولا أن تبحثوا معنا عن الصيغ الأكثر مناسبة لكي تستطيع هذه الخدمة تحقيق خدمة المحبة المعترف بها من

الجميع. إنني أطلب منكم أن تقدموا هذه المساعدة إلى البابا، باسم المسؤولية الموجبة عليكم في إعادة تأليف الشركة الكاملة مع الكنائس الأرثوذكسية... [٤٣].

- يبدو من الضروري أكثر فأكثر، أن يقام حوار في العمق مع الكنائس والجماعات المصلحة.

ج. وسائل توضع قيد التطبيق معا

٣١. إذا أرادت كنائسنا أن تتعمق وحدتها في المحبة، عليها أن تعمل معا كلما تطلبت ذلك حاجاتها المشتركة. وتشدد الأجوبة عن الخطوط الأساسية على بعدين أولويين في التعاون: الخدمة الراعوية والتأهيل المسكوني.

١. في الخدمة الراعوية

إن الرعايا الموجودة في المنطقة نفسها، وخاصة في التجمعات السكنية الكبيرة، تدفع الكهنة والعاملين الراعويين من كنائس مختلفة أن يلتقوا دوريا لتبادل خبراتهم وهمومهم المشتركة. فيستطيعون إذن، وسط جو أخوي من الصلاة والحوار، الإجابة عن متطلبات المؤمنين المشتركة. إن شهادة المحبة في الحق هذه، تكون أيضا مثالا لإحياء الضمير المسكوني عند أبناء الرعايا.

ويطبق المبدأ نفسه على صعيد الأبرشيات والوطن حيث يتعرف الأساقفة المعنيون على الحالة المسكونية التي تسود منطقتهم المشتركة. والعمل معا من أجل الوحدة، هو من أهم مسؤولياتهم. وأخيرا، عبر البعض عن ارتياحهم اذا ما حضر المؤتمر القادم معا ، وإذا تمت مشاركة الجميع

---

٤٣ .

بحسب الأصول المرعية. وبما أن هذا النوع من المؤتمرات ليس له بنية سينودسية، فلا يطلب شركة الأسرار الكاملة والقانونية بين كنائسنا. بل هو إحدى الوسائل التي تحرز تقدما باتجاه الوحدة في المحبة والشهادة المشتركة.

٢. في التأهيل المسكوني

إن الكهنة والمؤمنين الذين أخذوا بجدية معنى الالتزام المسكوني سرعان ما يدركون أن كل الوسائل التي توضع موضع العمل لهذه الغاية تصطدم بعائق مسبق: النقص في التأهيل عند المؤمنين وأيضا عند الرعاة. ولكي يفهم ويعيش المعمدون معنى الصلاة المضطرمة الموجهة من الرب يسوع الى الآب ليكونوا بأجمعهم واحدا ، فهم بحاجة الى التأهيل بواسطة الصلاة والخبرة والتأمل.

لا ينقص الكنائس، في منطقتنا، بنى للتأهيل المسيحي: مدارس ومراكز ثقافية ومعاهد وكليات حيث تؤمن في بعضها لكهنة المستقبل ومعاونيهم مبادئ التأهيل المسكوني الأولية. وهذا حد أدنى، ومن الضروري السعي إلى إدخال البعد المسكوني في كل المجالات الكنسية[٤٤].

ويوجد بالفعل، في كل كنائسنا، نقص وحاجة مشتركة لتنشيط الحس المسكوني بدءا بالصلاة والتضحيات الفردية والجماعية من أجل وحدة المسيحيين والتأهيل للعمل في هذا الحقل. ولا يمكن أن يبلغ هذا الجهد هدفه إلا إذا تحلى أبناء الكنيسة بثمار الروح القدس ، المحبة والفرح والسلام والصبر واللطف وكرم الأخلاق، والإيمان والوداعة والعفاف (غل ٥/٢٢).

---

٤٤ .

ثانيا: الأسرة في الشرق

٣٢. لا تزال العائلة في الشرق تلعب دورا أساسيا لأنها نواة المجتمع فيه، وأقوى مكان تحاك فيه الروابط بين أبناء البشر. إن حدودها تتخطى الأب والأم والأولاد، لتشمل في معناها الواسع كل من يرتبط بالآخر بصلة دموية أو حتى بالمصاهرة. وهي تؤمن مناخات حميمة تسمح للفرد بأن ينشأ ويترعرع ويشعر بالطمأنينة والسلام. حيث ترتفع الصلاة، تشتد حرارة التواصل وتترسخ عاطفة الانتماء.

ينشأ الفرد في العائلة المسيحية على القيم الإنسانية الأساسية الضرورية للمجتمع كالمحبة والتضحية، والغفران، والتضامن، والتفاهم... فضلا عن كونها كنيسة مترلية فيها يولد أعضاء المجتمع البشري الجدد الذين يصبحون بالعماد وبنعمة الروح القدس أبناء الله [٤٥]. ويتعلم الأولاد من خلال مثل والديهم مبادئ الإيمان وممارستها، ويتفتح كل شخص على دعوته المسيحية.

إن العائلة هي مدرسة الحب، والموقع الأول للشهادة المسيحية والرسولية، بالمثل كما بالكلام. إن سر الحب الذي يربط الرجل والمرأة يعكس الوحدة القائمة بين المسيح وكنيسته (ر. أف ٥/٣٢) [٤٦]. إلا أن وضع العائلة لا يتحلى دوما بالمثالية الموصوفة أعلاه، فالأخطار التي تهددها بالتفكك متعددة وكثيرة. أهمها:

- الضائقة الاقتصادية ونتائجها، البطالة، الفقر والعوز، جميعها تجبر الأبوين على العمل بالابتعاد عن المترل والأولاد، دون أن ننسى هذا الخطر الكبير، ألا وهو الهجرة سعيا وراء لقمة العيش؛
- فكرة الطلاق التي يعتادها مؤمنونا أكثر فأكثر كأسهل الحلول للأزمات التي تمر بها العائلات؛

---

٤٥ .

٤٦ .

- الإباحية المتفشية عبر وسائل الإعلام وغيرها التي تشوه قدسية الحياة الجنسية وتولد أفكارا تحررية غالبا ما تؤدي إلى البحث عن اللذة الأنانية خارجا عن الحب؛
- غياب التلاقي والحوار السليم الضروريين لنمو كل علاقة إنسانية؛ طغيان الفردية والأنانية.

في هذا كله قلما تجد العائلة من يدعمها ماديا أو حتى معنويا. وغالبا ما يجد الزوجان – أو أحدهما على الأقل – نفسه أمام تحديات أو صعوبات لم يهيأ أصلا لمواجهتها، من هنا أهمية أن تنشئ الكنيسة المراكز العيلية التي تعنى بتحضير الزواج ومرافقة العائلات التي تمر بصعوبة.

ويشكل مجمل ما نقل في هذه الفقرة عن العائلة مادة أجوبة عديدة عن أسئلة المحاور الأساسية المختصة بالموضوع.

أ. دور المرأة الشرقية

٣٣. تلعب المرأة عامة والمرأة الشرقية خاصة دور العمود الفقري للعائلة من خلال الأمومة والتربية بشكل أساسي إضافة إلى أنها هي التي تضفي الجو العائلي بحضورها، إذ تجمع في كنفها الزوج والأولاد، هذا علاوة على المواقف البطولية التي تتخذها بكل إيمان وجرأة خاصة في غياب الزوج، مما يستدعي التقدير العميق.

إلا أن حقوقها الأساسية لم تحترم كفاية بعد: أليست هذه هي الحال عندما تحرم المرأة حق اختيار زوجها بملء حريتها، أو تختار طريقة حياتها، أو أن تحصل على تربية وثقافة تشبهان الثقافة والتربية المعترف بهما للرجل؟ [٤٧]، هذا فضلا عن أنه في أغلبية بلدان الشرق لا يزال التشريع مجحفا بحق المرأة، مثلا في

٤٧ ./

عن أنه في أغلبية بلدان الشرق لا يزال التشريع مجحفا بحق المرأة، مثلا في الأحكام المتعلقة بالجرائم المسماة جرائم شرف ، والعنف الجنسي (الدعارة) المذل لكرامة المرأة، والإرث والتعليم، الخ [٤٨]. أضف إلى ذلك أن المرأة تجد صعوبات جمة في الانخراط في المجتمع العملي والسياسي، وذلك لأن المجتمع الشرقي بشكل عام هو مجتمع ذكوري يقلل من شأن المرأة حتى في اللاوعي الجماعي المسيحي والمسلم.

أمام هذا الواقع، لا بد للكنيسة من أن تقوم بدور نبوي فتؤكد المساواة في الحقوق بين الرجل والمرأة، مساواة أساسها أن كل كائن بشري هو مخلوق على صورة الله [٤٩]. وهذه المساواة بالرغم مما بين طبيعة الرجل والمرأة من فوارق تمكنهما من عيش غنى التكامل. من الضروري توضيح موقف القديس بولس من المرأة كي لا يفهم فهما خاطئا ويتخذ ذريعة لتسلط الرجال.

وقد عظم قداسة البابا يوحنا بولس الثاني عبقرية المرأة مشيرا الى جهوزيتها لبذل ذاتها محبة بالصغار المستضعفين[٥٠] مما يحث على تفعيل دورها في النشاطات الرعائية والمجتمع دون نسيان أمومتها[٥١]. ملاحظة أخيرة: قلائل هم الذين في أجوبتهم يشيرون الى تقدم ما في مسيرة تحرير المرأة في أوساطنا.

ب. الشبيبة: آمالهم وتطلعاتهم والأخطار المحدقة بهم

٣٤. لعل أهم من يتوجه اليهم عنوان هذا المؤتمر أتيت لتكون للناس الحياة وتكون لهم وافرة (يو ١٠/١٠) هم الشباب اذ إن مستقبل الكنيسة والعالم هو بيد الأجيال الطالعة المولودين في هذا القرن وسيبلغون النضج في غضون القرن

٤٨ .
٤٩ .
٥٠ ت .
٥١ .

الأول الآتي في الألف الجديد (...) فاذا عرفوا أن يسلكوا الطريق الذي يدلهم عليه يكون لهم فرح المساهمة بحضوره في الجيل الآتي وسائر الأجيال حتى انقضاء الدهر [٥٢].

تشكل الشبيبة في المجتمعات عامة وفي المجتمع الشرقي خاصة قوة حياة، وتعقد عليها كل الآمال المستقبلية. إنها تتمتع بطاقات تمكنها، اذا ما استثمرت في الوجه الصحيح، أن تشكل قدرة تغيير، بخاصة ان عمر الشباب يتميز بالحيوية الدائمة والبرهان على ذلك نشاطاتهم في الجماعات والحركات الروحية والرسولية والعطش إلى المطلق والمثالية في كافة الميادين أخلاقيا وروحيا. إلا أن شبابنا يصطدمون بواقع أليم فرض عليهم ولا يحقق طموحاتهم. ويأسفون لغياب من يتفهمهم ويوجه طاقاتهم.

أمام هذا الواقع وبحثا عن مستقبل أفضل، تتجه أنظارهم نحو الغرب طلبا لأفكار وفلسفات وايديولوجيات ومثاليات جديدة قد يروون بها غليلهم. وقد يقعون فريسة سهلة لهذه أو تلك من البدع المستوردة إذ انهم غير واعين كل الوعي لأبعادها.

وتعي الكنيسة مسؤولياتها تجاه الشباب: فالجماعات المسيحية مدعوة الى أن تفسح لهم مجالا أوسع للاندماج في كل نشاطها، فيغدوا بذلك فاعلي البشارة الجديدة ، وزارعي الكلمة في نفوس غيرهم من الشباب، مجندين حيويتهم الخاصة للتجدد الكنسي. وهم كذلك مدعوون ليكونوا مشاركين، مشاركة كاملة، في بناء المجتمع. ولذا ينبغي أن يتلقوا تنشئة فكرية وروحية متينة، تروي عطشهم الى المطلق والحقيقة؛ وحيثما يسلكون يجب أن يلقوا ما يحتاجون إليه من مواكبة روحية [٥٣].

وفي الختام، نلاحظ أن الأجوبة عن أسئلة المحاور الأساسية خصصت

---

٥٢ .

٥٣ .

مكانا مرموقا للشباب. ويطلب من المسؤولين في الكنيسة منح الثقة لحيوية الشباب وإخلاصهم وقدرتهم وإشراكهم في كل مشروع آني ومستقبلي يقومون به.

ثالثا: الشركة في المواطنية

٣٥. يوجد المسيحيون في هذه البقعة من الأرض مع إخوان لهم يختلفون عنهم دينا وعقيدة ويتآلفون بأغلبيتهم من المسلمين وعدد قليل من اليهود. إننا نحن وإياهم ننهل من تراث حضاري واحد نتقاسمه، وقد أسهم كل منا في صياغته انطلاقا من عبقريته الخاصة [٥٤].

ونتج من ذلك حوار يومي وأكاديمي خلق قرابة حضارية تجعلنا مسؤولين معا أمام الله والوطن وتحتم علينا أن ينظر بعضنا إلى بعض بروح الانفتاح (الموضوعي) والتعرف المتبادل الحقيقي (...)، والتعامل على أساس المواطنية الحقيقية والصداقة [٥٥] والألفة والتوافق على قيم مشتركة ورؤية إنسانية واحدة. وهكذا نتمكن من تخطي الحواجز والعقبات السياسية والاجتماعية وغيرها التي تجعل الحوار في بعض الأحيان عسيرا وصعبا.

يتوق مسيحيو الشرق إلى عيش مشترك أخوي مع كل المواطنين. ولكن، بحسب بعض الأجوبة، لا يزال الأمر بعيد المنال؟ آخرون، أكثر عددا، يعتبرون أن العصور الماضية أثبتت أن التعاون والتوافق ممكنان في الوطن العربي. ولكنهم بمجملهم يتمنون شركة تامة ومتساوية في المسؤوليات والحقوق مع جميع أبناء الوطن الواحد. ومن شروط الشركة الصحيحة، قبول الآخر على اختلافه وإنصافه ومساعدته للتمتع بالقيم الإنسانية التي من بينها، لا بل أولها، الحرية.

---

٥٤ .

٥٥

و الشركة تكون كاملة أو لا تكون، إذ إن الشركة غير المتساوية هي سيطرة طرف على طرف آخر. وحدها الشركة المتساوية يمكنها أن تدوم وتثمر ثقة وأمانا بين الجميع. فلا بد للكنيسة من أن تكون الشاهد الأول والعامل المثابر من أجل العدالة والسلام.

رابعا: حقوق الإنسان

٣٦. تطلق دول كثيرة شعارات في الحرية والمساواة والكرامة والتنمية، تبقى فارغة من معناها إذ أن الحقوق الأساسية للشخص البشري، المنصوص عليها في شرعة الأمم المتحدة منذ خمسين سنة، منتهكة في أكثر من بلد. فلا عجب أن يتطلع الكثيرون من الذين أجابوا عن أسئلة المحاور الأساسية إلى مجتمع أفضل تسود فيه الحرية وتحترم حقوق كل إنسان. كما إنهم يعتبرون أن دور الكنيسة في هذا المجال كبير جدا. فهي تؤمن بأن الإنسان الذي هو أصلا على صورة الله ومثاله قد رفع إلى مستوى الألوهية بتجسد يسوع المسيح ابن الله الوحيد. للإنسان إذن الكرامة التي لا يمكن أن ينتزعها أحد منه. ولقد ثبتت الكنيسة على مدى التاريخ هذه الحقيقة فدعت مرارا إلى احترام الشخص البشري مهما يكن جنسه أو لونه أو انتماؤه، الخ... وعملت على تحقيق التزامها من خلال مؤسساتها المتعددة لتكون حيث هي، علامة سلام وعدالة ومحبة. ويقترح البعض إنشاء لجنة مختصة من أجل توعية أبناء الكنيسة على متطلبات رؤية انتروبولوجية من هذا النوع ومعانيها الإنسانية والدينية. وفي مناداتها بالمساواة، تذكر الكنيسة، بشكل خاص، بوضع المرأة في المجتمع كما ذكر آنفا.

إنما يجب أن يصحب هذه المواقف شهادة فعلية، جريئة ووعي تام وواقعية كي تكون مساهمة المسيحيين في مسيرة أبناء البشر نحو عالم أفضل مجدية. على الكنيسة بأسرها رعاة ومؤمنين، أن تناضل بصدق مع كل مخلص في العالم، بدءا من

ذاهما و بيتها ، من أجل احترام كرامة الإنسان وكل إنسان، من أجل حريته وحقه في الحياة والحرية والمساواة والتربية والتعليم والثقافة وتقرير المصير وتأسيس أسرة وكل ما ورد في ميثاق الأمم المتحدة بهذا الشأن. وتتجسد هذه الشهادة أيضا بالعمل على تنمية المجتمع في شتى الميادين المادية والنفسية والروحية وبالوقوف خصوصا إلى جانب الضعفاء والمحتاجين. وهذه التنمية هي الترجمة العملية لوصية المحبة. إمكانات الكنيسة كبيرة في هذا المجال ومحدودة في آن واحد. لذا، يتطلب تحقيقها تضافر الجهود والعمل المشترك ليس فقط بين مختلف الكنائس إنما أيضا بين الطوائف والجماعات المتعددة فيعمل الجميع كل من موقعه، من أجل نمو القرية والمدينة والوطن والمحيط الإقليمي، الخ.

خامسا: السلام المرتجى

٣٧. إن السلام معضلة من معضلات حياة البشر عبر التاريخ. فالإنسان يطمح إليه من صميم كيانه و لم يحصل عليه بعد. وقد اصبح شعارا من شعارات عصرنا لا يزال أبناء كنائسنا الشرقية يأملون في تحقيقه بالرغم مما تعانيه المنطقة من نزاعات وحروب. ويتخذ السلام في الذهنية المسيحية أهمية كبرى اعترافا منها أن مصدره الدائم هو الله دون سواه. فهو يفترض تغييرا جذريا في القلوب والانتقال من الأنانية والكبرياء. والحسد والاستسلام للأهواء العشوائية وحب التسلط إلى المحبة والتواضع والسيطرة على النفس والوداعة تجاوبا مع تطوبيات السيد الرب: طوبى للودعاء فإنهم يرثون الأرض (...) وطوبى للساعين الى السلام فإنهم أبناء الله يدعون (متى ٥/٤و٩).

وبالنسبة إلى المسيحي، النضال من أجل السلام قرار يتخذ قبل كل شيء لأسباب روحية من صلب الإيمان إذ إن من صفات المسيح الأساسية انه صانع

السلام لا بل سلامنا (... وقد) هدم في جسده الحاجز الفاصل بين الناس أي العداوة (أف ٢/٤) وحطم قيود الخطيئة والموت. فكل سلام هو صورة ونتيجة لسلام المسيح الذي يصدر من الآب. فإن الابن المتجسد نفسه، ملك السلام، وقد اصلح بصليبه ما بين جميع البشر والله (...) وعقب قيامته المجيدة، أفاض روح المحبة في قلب البشر [٥٦]...

وهكذا يصبح السلام ركنا من أركان الكنيسة. فهي مدعوة لتكون على صورة سيدها صانعة سلام وأداة تسامح ومصالحة بين المتخاصمين. وهذا الدور في منطقتنا شاق للغاية: كيف نجمع بين المسالمة والدفاع عن حق الضعيف؟ ما العمل للبقاء عمليا على محبة الظالم والتصدي للظلم؟ تواجه كنائسنا يوميا تساؤلات من هذا القبيل. وهي قلقة جدا بسبب الصراع الإسرائيلي ـــ الفلسطيني والحصار المفروض على العراق وما يمثل ذلك من تهديد مستمر للسلام، وارتكاب المظالم تجاه شعوب وأبرياء وازدياد للمآسي الجسيمة والفقر. لهذا السبب، لا يزال بطاركة الشرق الكاثوليك يطالبون باستمرار منظمة الأمم المتحدة أن تجد الحلول المناسبة سريعا ودون مراوغة[٥٧] ليس فقط للقضيتين المذكورتين ولكن أيضا لوضع حد للعنف المتزايد في العالم. فقد أصبحت المسألة مسألة تصحيح حضارة إذ إن وسائل الإعلام تغذي الميول الشريرة دون مراقبة، وبعض الدول الكبرى تتهيأ لحرب النجوم .

ويتمنى الذين أجابوا عن أسئلة المحاور الأساسية أن يخطو المشتركون في هذا المؤتمر الأول الخطوات نفسها التي ثابر عليها بطاركتنا في هذا المجال بجرأة ومحبة شاملة فيحثوا أبناء كنائسهم والمسؤولين في كل مكان على البحث الجدي لإيجاد السبل الملائمة لحلول حضارة السلام بدلا من حضارة العنف والموت.

٥٦

٥٧

سادسا: القدس، مدينة السلام

٣٨. أما مدينة القدس، فإليها تتجه أنظار المسيحيين بأجمعهم. إنها العزيزة بنوع خاص على تلاميذ المسيح أبناء هذا الشرق، فهي مصدر قلق عميق في قلوبهم. إنها للبشرية جمعاء رمز الإيمان التوحيدي إذ استقرت فيها الديانات الإبراهيمية منذ غابر الأزمان، وبات لها مقراتها ودور عبادتها. وبالنسبة إلينا إنها قلب الأراضي المقدسة. فيها ابتدأت البشارة وتكونت الكنيسة الأولى ومنها انطلقت إلى أقاصي الأرض. فيها تم سر الفداء وشاهد أهلها أعظم المعجزات وآلام المسيح وموته وقيامته وحلول الروح القدس على الرسل. باركها الرب وبكى عليها، وستبقى أبدا رمزا لمدينة السماء.

بالمقابل، يأسف المؤمنون لوضعها الحالي في ظل التجاذبات السياسية والصراعات الدموية التي حولتها من أورشليم مدينة السلام إلى مدينة الحرب والتقتيل. في ما يلي ننقل ما جمع من أقوال البابا يوحنا بولس الثاني وكتابات بطاركة الشرق الكاثوليك في المحاور الأساسية وهو خير ما دون في الموضوع: إن مدينة القدس، التي قدستها السماء وتعتبرها الديانات الثلاث، المسيحية والإسلام واليهودية، جزءا من تراثها الديني الروحي والحضاري [٥٨]، هي أم الكنائس [٥٩] وهي مفتاح السلام والحرب [٦٠] و أي حل سياسي لا يستطيع أن يتغاضى عن هذا الواقع الصميم لمدينة القدس، مما يدعو إلى إيجاد صيغة فريدة لها، يشعر معه كل مؤمن بالله مسيحيا كان أم يهوديا أم مسلما، بأنه على قدم المساواة مع غيره (...) تتحول مدينة القدس من مدينة الصراع والفرقة والتراع والاقتتال إلى مدينة سلام وتلاق وتآخ لأهاليها، وعلامة أمل ورجاء للعالم اجمع [٦١]: إنني أحلم باليوم الذي

٥٨ .
٥٩.
٦٠
٦١ .

فيه، يتصافح في مدينة القدس أورشليم، اليهود والمسيحيون والمسلمون، ويتبـــادلون تحية السلام [٦٢]. دعاء الاستئثار بها هو دعوة إلى الحرب، وأما الدعوة إلى المشاركة على قدم المساواة في السيادة وفي جميع الحقوق والواجبات هي دعوة إلى الســـلام والاستقرار في المدينة والمنطقة [٦٣].

الخاتمة

٣٩. على مشارف الألفية الثالثة، إن تعاون كنائسنا في ما بينها ومع الكنـــائس الأخرى، من أجل الشهادة في الشرق لقيم الإنجيل، هو مشروع كبير. انه يفـــوق القدرة البشرية لولا وعود الرب بأنه مع كنيسته طوال الأيام الى نهاية العالم (مـــتى ٢٠/٢٨)، وان أبواب الجحيم لن تقوى عليها (متى ١٨/١٦). ولـــو لم يكـــن الروح القدس يرافقنا على دروب الدنيا عبر تاريخنا، لما تجاسر بطاركـــة الشـــرق الكاثوليك ودعوا إلى إقامة هذا المؤتمر. انهم لا يغفلون أبدا أن الصعوبات جســـيمة وان قول المسيح لا يزال صحيحا ولا يجوز تجاهله: متى جاء ابن الإنسان، أفـــتراه يجد الإيمان على الأرض؟ (لو ١٨/٨).

يقول المسيحيون إنهم قلقون: هل يصمدون في الأرض المقدسة، في الشـــرق الأوسط والبلدان المحيطة به؟ هل يحسنون القيام بالرسالة التي أوكلها إليهم الســـيد المسيح؟ ووضع ثقته بهم ولا يزال يتكل عليهم كي يعرف اسمه ويحب. مســـتقبل الإيمان به بين أيديهم وان لم يكن بحاجة الى أحد. هل نخيب أمله في إطلالة الألـــف

٦٢ .
٦٣ .

الثالث لولادته في ما بيننا أو يكون هذا المؤتمر المناسبة لحافز جديد من أجل خدمة أعمق وأوسع؟ هل يساعد المسيحيين على التمسك بأرض شرقهم والتخلي عن حلم الهجرة نحو سماء جديدة؟ قوتنا في إيماننا، إيمان جميع الذي ظلوا هنا فأثاروا الإعجاب، وإيمان الذين اضطروا، لأسباب قاهرة أن يتركوا منطقتنا ولكن قلبهم لا يزال متعلقا بهذه الأماكن، محبة لبلادهم وسيدهم. قوتنا كامنة في الإيمان الذي زرعه الرسل في قلوب أجدادنا الأقوياء الودعاء الذين عرفوا، بجرأة كبيرة، كيف يحافظون على وديعة الإيمان سليمة ونقلوها إلينا. وبالرغم من أخطائنا وضعفنا، لا تبرح هذه النعمة تنير حياتنا ومجتمعنا.

نطلب شفاعة جميع القديسين الذين يعرفهم الناس والذين يعرفهم الله وحده، وبنوع خاص، أولئك الذين تقدسوا في شرقنا وعلى رأسهم العذراء مريم، بنت أرضنا و أم الكنيسة . وشعبنا يكرمها تكريما فائقا في صلواته الخاصة وفي احتفالاته الليتورجية، منذ أن كان. وينظر إليها ويتعلم منها أن يتأمل في ابنها، ومعها، يقدمه للعالم، خصوصا لعالمه، كلمة حياة وخبرة خلاص. إنه يفرح بانتمائه الى الكنيسة التي بواسطتها عرف هذا السر العظيم، سر تجسد الابن الوحيد، الذي يفتح ضميره كي يحب جميع البشر. وبهذا الروح يعيش ويعمل أبناء كنائسنا، يدا بيد مع كل أبناء هذا الشرق العزيز. رجاؤهم كبير أن يكون الألف الثالث زمن المصالحة والسلام بين جميع أبناء البشر.